الطفولة والأمومة

والصحة النفسية للطفل

تأليف

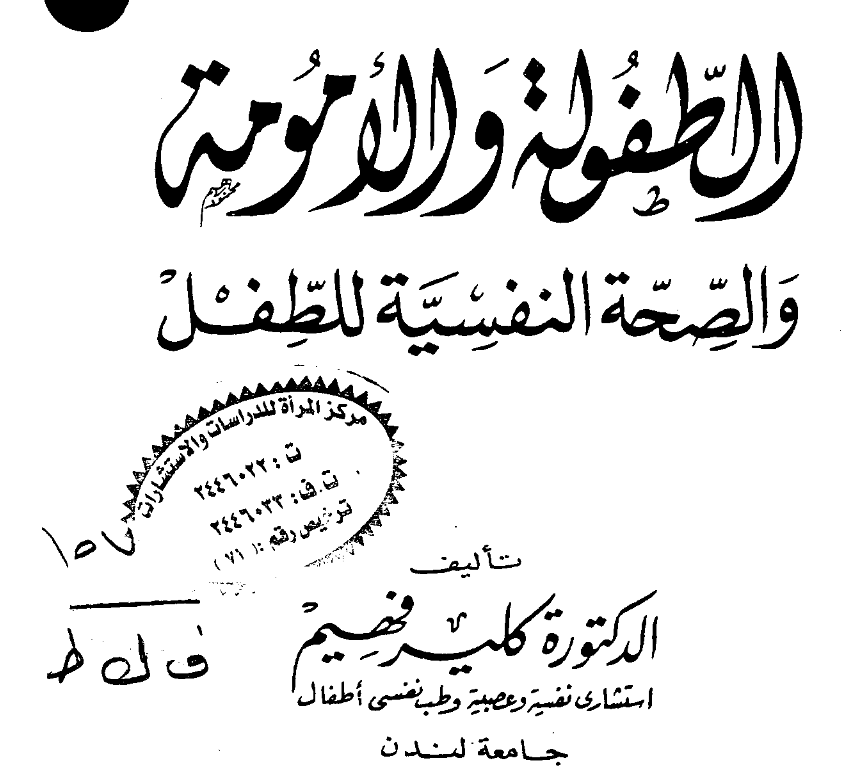
الدكتورة كلير فهيم

استشاري نفسية وعصبية وطب نفسي أطفال

جامعة لندن

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية



الطفولة والأمومة

والصحة النفسية للطفل

تأليف
الدكتورة كلير فهيم
استشارى نفسية وعصبية وطب نفسى أطفال
جامعة لندن

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / القاهرة
ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - ٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧
ص.ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة
E-mail:alsakafa_alDinaya@hotmail.com

رقم الإيداع	٢٠٠٤/١٩٠٦٤
الترقيم الدولي I.S.B.N	977-341-170-2

المقدمة

يهدف هذا الكتاب إلى دراسة العلاقات الإنسانية فى حياة الأطفال فى الأسرة دراسة تحليلية، وبيان أثر هذه العلاقات الإنسانية على نموهم النفسى، وتكامل شخصيتهم وسلامتها، وذلك لمساعدتهم على التكيف السليم للوسط الذى يعيشون فيه.

ومعنى ذلك أن علاقات الطفل مع أسرته ستحدد إلى درجة كبيرة بالاشتراك مع ما يملكه من قدرات واستعدادات، أى فرد سيكون فى مستقبل حياته.

ولكى تحقق للطفل- أى رجل المستقبل- الحياة المستقرة المثمرة البعيدة عن الصراعات النفسية، ينبغى أن نوفر له الحب، والعطف الذى يشبع حاجاته إلى الشعور بالأمن والطمأنينة، ويجنبه الخوف والقلق والشعور بالحرمان والتعاسة إذا لم تشبع هذه الحاجات.

وبذلك، فإن الأطفال الذين يتوفر لهم هذا المناخ الصحى فى الأسرة سوف يساعدهم على أن يشبوا رجالا ونساء سعداء فى علاقاتهم الأسرية والاجتماعية، أكفاء فى عملهم، أصحاء نفسيا وجسميا.

ثم يصبحون قادرين لمقابلة عالم الواقع بمسئولياته وأفراحه وأحزانه ومتاعبه دون التعرض للخوف، والقلق، وضعف الثقة بالنفس، ودون التوتر النفسى والتعاسة التى تؤثر تأثيرا سيئا على صحتهم النفسية.

إن تلبية الحاجات النفسية للطفل أصبحت اليوم ضرورة فى جوهرها لا سبيل إلى الاستغناء عنها أو التساهل فيها، إذا شئنا أن ننهض بواجبنا نهوضا سليما، وكاملا إزاء الطفل وإزاء الوطن على حد سواء.

أى إذا شئنا أن نعد طفل اليوم لتحمل تبعات الغد مع القدرة على أن ينعم بحياته معا.

ولتحقيق هذا الهدف يحتاج ذلك إلى فهم واع من الوالدين لحاجات الطفل والعوامل التى تؤدى إلى استقراره، وتدعيم شعوره بالقبول، والثقة بالنفس حتى يمكنه الاطمئنان إلى هذا العالم الكبير حوله، وتحمل مسئوليات الحياة فيه بكفاح ونجاح.

الطبعة الأولي
١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥ م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / القاهرة
ت: ٥٩٢٢٦٢٠ ـ ٥٩٣٨٤١١ / فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧
ص.ب ٢١ توزيع الظاهر ـ القاهرة
E-mail:alsakafa_alDinaya@hotmail.com

رقم الإيداع	٢٠٠٤/١٩٠٦٤
الترقيم الدولي I.S.B.N	977-341-170-2

المقدمة

يهدف هذا الكتاب إلى دراسة العلاقات الإنسانية فى حياة الأطفال فى الأسرة دراسة تحليلية، وبيان أثر هذه العلاقات الإنسانية على نموهم النفسى، وتكامل شخصيتهم وسلامتها، وذلك لمساعدتهم على التكيف السليم للوسط الذى يعيشون فيه.

ومعنى ذلك أن علاقات الطفل مع أسرته ستحدد إلى درجة كبيرة بالاشتراك مع ما يملكه من قدرات واستعدادات، أى فرد سيكون فى مستقبل حياته.

ولكى تحقق للطفل- أى رجل المستقبل- الحياة المستقرة المثمرة البعيدة عن الصراعات النفسية، ينبغى أن نوفر له الحب، والعطف الذى يشبع حاجاته إلى الشعور بالأمن والطمأنينة، ويجنبه الخوف والقلق والشعور بالحرمان والتعاسة إذا لم تشبع هذه الحاجات.

وبذلك، فإن الأطفال الذين يتوفر لهم هذا المناخ الصحى فى الأسرة سوف يساعدهم على أن يشبوا رجالا ونساء سعداء فى علاقاتهم الأسرية والاجتماعية، أكفاء فى عملهم، أصحاء نفسيا وجسميا.

ثم يصبحون قادرين لمقابلة عالم الواقع بمسئولياته وأفراحه وأحزانه ومتاعبه دون التعرض للخوف، والقلق، وضعف الثقة بالنفس، ودون التوتر النفسى والتعاسة التى تؤثر تأثيرا سيئا على صحتهم النفسية.

إن تلبية الحاجات النفسية للطفل أصبحت اليوم ضرورة فى جوهرها لا سبيل إلى الاستغناء عنها أو التساهل فيها، إذا شئنا أن ننهض بواجبنا نهوضا سليما، وكاملا إزاء الطفل وإزاء الوطن على حد سواء.

أى إذا شئنا أن نعد طفل اليوم لتحمل تبعات الغد مع القدرة على أن ينعم بحياته معا.

ولتحقيق هذا الهدف يحتاج ذلك إلى فهم واع من الوالدين لحاجات الطفل والعوامل التى تؤدى إلى استقراره، وتدعيم شعوره بالقبول ، والثقة بالنفس حتى يمكنه الاطمئنان إلى هذا العالم الكبير حوله، وتحمل مسئوليات الحياة فيه بكفاح ونجاح.

وفى سبيل ذلك: قد وضعت هذا الكتاب، ووضحت فيه أهمية العلاقات الأسرية بين أفرادها فى تكوين الاتجاهات النفسية والسلوكية والاجتماعية للأبناء فى مستقبل حياتهم... وكذلك وضحت الدور الفعال والمهم للأم فى الأسرة، ولا سيما فى مراحل الطفل الأولى، وكذلك دور الأب، وإلى أى مدى يمكن أن يكون عاملا هاما فى إحساس الأبناء بالأمن والطمأنينة إذا عرف الأب واجبات الأبوة، ولماذا يخطئ أحيانا فى تنشئتهم.

وكذلك أوضحت مضار الضرب والعنف والقسوة على نفسية الأبناء لأن هذا الأسلوب فى التعامل مع الأبناء عنصر هدم لمستقبلهم من الناحية النفسية والذهنية والاجتماعية.

ويشمل أيضا هذا الكتاب أهمية دور الحضانة فى التنشئة النفسية للطفل فى هذه المرحلة المهمة فى حياته، وكذلك أهمية تعاون الأسرة مع دار الحضانة لتوفير الصحة النفسية للطفل. وإلى أى مدى دور مشرفة الحضانة مهم جدا فى تنشئة الطفل فى هذه المرحلة.

وأوضحت العلامات المهمة التى يتحتم ظهورها فى سلوك الطفل من اضطرابات نفسية وسلوكية، الأمر الذى يتحتم عرضه للعلاج المبكر على الطبيب النفسى .

وأخيرا: إذا استطاع هذا الكتاب أن يلقى ولو قبسا خافتا من الضوء على الوسائل والطرق التى تساعد على إشباع الحاجات النفسية للطفل التى كثيرا ما يحلك فيها الظلام، وأن ينبه أذهان الآباء والأمهات والمهتمين برعاية الطفولة فى كل مراحلها، إلى ما فى ذلك من خير وسعادة لأبنائهم .

فإذا استطاع هذا الكتاب أن يحقق ذلك أو شيئا منه فذلك ما رجوت، وما قصدت.

المؤلفة

الجزء الأول

الأسرة والصحة النفسية للطفل

الفصل الأول

البيئة .. والتنشئة النفسية للطفل

أهمية البيئة التى يعيش فيها الابن

للبيئة التى يعيش فيها الطفل الأثر الأكبر فى سلوكه فى جميع مراحل العمر المختلفة حتى الشيخوخة .

فالبيئة العائلية تؤدى دورا مهما فى توجيه سلوك الطفل ومساعدته على أن ينظم دوافعه الوجدانية، وعلى أن يكتسب العادات الحميدة التى تقوى الخلق.

ومن أهم هذه العادات: ضبط النفس، وحب النظام، وغنى عن القول أنه النظام الذى ينشئ الوالدان الطفل عليه لا بد وأن يكون مشبعا بروح الإنصاف والعدل والتعاون، أما التنشئة التى تسودها روح التعسف والزجر والاستبداد فإنها تؤدى حتما إلى ظهور الاتجاهات الشاذة المعوجة وإلى تعاظم النقائص الصغيرة التى قد تشوب سلوك الطفل، والذى كان من الممكن تجنبها أو إصلاحها بشىء من حسن التدبير والفهم والعناية.

البيت للطفل بمثابة الأرض للبذرة:

فالأرض الطيبة تنمو فيها البذرة نموا طبيعيا سليما، وتنتشر انتشارا يعطى أكبر إنتاج تستطيعه هذه البذرة.

كذلك البيت الهانئ هو المكان الذى ينمو فيه الطفل نموا طبيعيا سليما من جميع الوجوه: جسميا، ونفسيا، وعقليا، واجتماعيا، وروحيا، وهو المكان الذى تتفتح فيه الاستعدادات الكامنه لدى الطفل فتنكشف قدراته، ويطمئن إلى نفسه وإلى من حوله. . . الأمر الذى يمهد له السبيل مستقبلا لكى يقيم علاقاته بالغير على أساس من التعاون والطمأنينة.

أما الأرض الضعيفة لا تهيئ الفرصة المناسبة للنمو.

كذلك البيت المضطرب لا يصلح لتنشئة الطفل مهما توفر المال والجاه، بل يخرج منه إنسانا مضطربا نفسيا وسلوكيا.

فالطفل الذى ينحرف سلوكه عن الطريق الذى يتلاءم مع مقتضيات السواء هو فى معظم الأحيان ضحية بيئته العائلية.

وإذا استثنينا حالات العته والبلاهه التى ترجع عواملها إلى الوراثة المرضية، يمكن التطلع بأن جميع الانحرافات النفسية والسلوكية تقع تبعتها على البيئة العائلية أو الاجتماعية.. ومن اليسير التأكد من صحة هذا الرأي، فإن آلاف الحالات التى تتردد على العيادات النفسية تبين لنا بوضوح التأثير السيئ الذى تتركه البيئة العائلية فى تنشئة الطفل، والتى يشيع فيها الفساد والشقاق وسوء التدبير.

المرض النفسى... علاقة مضطربة بين الفرد والبيئة:

فى الحقيقة، فإن المرض النفسى فى صميمه ليس إلا علاقة مضطربة بين الفرد والبيئة يضيع فيها الانسجام، ويضطرب التوافق.. واضطراب التوافق هذا يرجع عادة إلى الأيام الأولى من الحياة حين يبدأ الفرد رضيعا فطفلا ليتحسس أولى خطواته فى التوافق مع البيئة مباشرة: الأبوين.. والإخوة.. فهذه العلاقة خلال السنوات المبكرة من الحياة تثير فى نفس الطفل ألوانا من الخبرات والصراعات التى لا تتركه أبدا، وتظل تؤثر فى دوافعه وسلوكه رغم كبتها فى اللاشعور، وبالتالى عدم إدراكه إياها على مر الأيام والسنين، مقررة له أنواع العلاقات التى سوف يقيمها فيما بعد فى المدرسة والعمل والزواج والمجتمع، كما تحدد موقفه فى مختلف المشكلات الخاصة فيها والعامة، التى سوف تقابله وترسم السمات البارزة لشخصيته من إقبال على الناس والتعاون معهم أو عداء وتحد لهم أو انسحاب وبعد عنهم.

البيئة.. واضطراب الطفل نفسيا:

١- التفكك الأسرى:

يؤثر سلوك كل من الأبوين تجاه الآخر على صحة الطفل النفسية. وقد أثبتت البحوث أن معظم الأطفال المشكلين يأتون من منازل تكثر فيها الاحتكاكات الزوجية أكثر مما يأتون من منازل فيها علاقات سليمة.

ومن دواعى تفكك الروابط الأسرية:

مشاجرات الوالدين واختلافهما، ربما كان هذا راجعا إلى:

* سوء الحالة الاقتصادية. أو إلى الاختلاف على طرق تربية الأبناء.

* اضطراب أحد الوالدين أو كليهما نفسيا على نحو لا يجعلهما قادرين على مقابلة تبعات علاقة وثيقة كالزواج، ومسئولية كبيرة كالتنشئة النفسية للأبناء مقابلة ناجحة .

أحيانا يصب أحد الوالدين جام غضبه على الطفل نفسه.

وهذا كله يقلل من ثقة الطفل فى قوة الكيان العائلى، ويحتمل بالتالى أن يقلل ثقته بنفسه، وأن يجعل الثقة معدومة فيمن يتصل بهم فى الحياة بعد ذلك.

الأمر الذى يؤدى إلى أن يهرب الطفل إلى الشارع حيث يبدأ سلسلة من سلوك غير مرغوب فيه.. وإن لم يتمكن من الهرب إلى الشارع ففى أحلام اليقظة متسع لفراره من الواقع.

٢- وفاة الأب أو الأم:

إذ يترتب بعد ذلك أحيانا أن تظهر للطفل زوجة أب أو زوج أم، أو إخوة غير أشقاء.

٣- الطلاق، والانفصالات المؤقتة أو الدائمة:

وقد يحدث التفكك عن طريق الطلاق أو الانفصالات المؤقتة أو الدائمة، وبذلك يتعرض الأطفال إلى مختلف الخبرات والتجارب القاسية والإحباط المتواصل الذى يدخلهم إلى الانحراف، والانحلال الخلقى .

٤- الفقر، والحرمان، والالتجاء إلى الجريمة:

من مظاهر التفكك الأسرى قد يكون نتيجة الفقر والحرمان الذى قد يدفع الوالدين إلى سلوك طريق الجريمة... والطفل الذى يعيش فى مثل هذا الجو قد يتشرب هذا المثل السيئ عن والديه، ويفقد الاحترام لنفسه، والقيم الأخلاقية عامة، ويعيش مترددا بين الظلم والقسوة، والمهانة والخوف والعدوان، ومن ثم يندفع إلى التعبير عن ذلك بمسالك غير مرغوب فيها اجتماعيا.

٢- ازدحام المسكن:

يؤثر على جوانب الحياة الإنسانية، فإنه فضلا عن آثاره بالنسبة للبدن، فإنه له أضرارا أخرى فى الحياة النفسية الداخلية، والسلوك الاجتماعى للفرد. والصغار أكثر

تأثرا بمثل هذه الحياة التى تعرقل نموهم النفسى، وتؤدى إلى اضطرابات الشخصية التى تتمثل فى مظاهر عدم النضج وتأخر الاستقلال، والاستجابات غير الصحية المضادة للمجتمع والثورة لأقل الأسباب والتجارب الجنسية المبكرة.

فالأسرة التى تعيش فى حجرة واحدة.. هذه الأسرة لا تستطيع أن تمنع أطفالها من الاطلاع المبكر على العلاقات الجنسية. فتشغل أذهانهم بها دون فهم لحقيقتها، وقد تعرضهم إلى الممارسة المبكرة لألوان مختلفة جنسية ونفسية تؤثر فى سلوكهم مستقبلا.

٣- إحاطة الجنس بالغموض:

من أصعب المشكلات التى تواجه الآباء مشكلة تكوين اتجاهات وعادات جنسية سليمة، إذ إن كثيرا من الآباء يحيطون الأمور الجنسية بجو من الغموض والأسرار حتى أن أطفالهم يندفعون إلى معرفة هذه الأمور من مصادر مريبة يتعذر عندئذ تكوين اتجاهات سويه تجاه أمور الجنس. ينبغى أن يشجع الأطفال على تناول أمور الجنس فى صراحة ولا خجل شأنه شأن المسائل الأخرى. على أن نساعدهم على تنمية الإحساس بالحياة بشرط خلوه من مشاعر الخجل أو الشعور بالذنب أو السرية. ولا شك أن الأطفال سيصبحون عاجلا أو أجلا مشوقين إلى معرفة من أين يأتى الصغار! فلا ينبغى أن نقابلهم بالرفض أو التخلص، بل نجيب بالطريقة التى تتناسب مع قدرة الطفل على الفهم؛ لأن الأطفال سرعان ما يكتشفون ما هى الإجابات الصحيحة، ويفسرون تفسيراتهم الخاطئة على أنها حيل وخداع.. وفى كلتا الحالتين يعتبر الأبوان فرصة يمكن بها أن يكونا عونا للطفل.

٤- القسوة والعقاب فى معاملة الطفل أو التراخى فى معاملته:

لا شك أن القسوة والتربية الصارمة تؤديان إلى خلق ضمير أرعن، وتولدان الكراهية للسلطة وكل ما يمثلها، وتجعلان الطفل يقف من المجتمع عامة موقفا عدائيا، أو يستسلم، أو يرى الخلاص فى تملق الكبار أو الخضوع لهم، وتميت فى نفسه الثقة بالنفس، وتقتل روح المبادأة، وتجعله يتحاشى القيام بأى عمل يدافع به عن نفسه.

وليس التراخى فى معاملة الصغار بـأقل ضررا من القسوة.. فقد ثبت أن الطفل الذى ينشأ فى تراخ وتهاون يظهر عليه من الاضطرابات الشخصية والسلوك اللاسوى ما يظهر على الطفل الذى نشأ على القسوة والتزمت فى المعاملة.

ومن أشد الأمـور خطرا على الطفل التقلب فى المعامـلة، بين اللين والشدة على عمل مرة، ويعاقب على نفس العمل مرة أخرى، ويجاب طلبه مرة ويحرم منه أخرى، دون سبب معقـول. والتقلب فى المعاملة يجعل الطفل فى حالة قلق وحيرة وتهـتز ثقته بوالديه، وقد يدفعه إلى الكذب والنفاق.

٥- الإكثار من تخويف الطفل:

له آثاره النفسيـة الخطيرة، وقد ينعكس المكبوت فى سن مـبكرة على حياة الطفل عندما يكبـر، فيخـشى الناس أو لا يرضى أبدا عن عمل يعملـه، ويصبح دائم القلق، والخوف، والانطواء، والبعد عن الاختلاط بالآخرين.

٦- الإسراف فى التدليل:

له عواقب متعددة منها:

الشعور بالنقص، وفـقد الثقة بالنفس، وقـتل روح الاستقلال وتحمل المسـئولية، ويجب التفـرقة بين التـدليل والعطف.. ففى العطف أخذ وعطـاء، أما فى التـدليل فالطفل يأخذ دون أن يعطى. والعطف ألزم ما يجب أن يحاط به الطفل.. فهو الموازن الطبيعى الذى يشعر به الصغير حيال الكبير، ويبعث فى نفسه الشعور بالأمن والطمأنينة اللذين يحتاج إليهما.

ولكى نعطف على الطفل ونحـبه بالرغم ممـا نراه فيه من عـيوب يتـعين علينا أن نفهمـه؛ فمعرفة الطفل شـرط ضرورى لتربيته.. غـير أننا كثيرا ما ننـظر إليه بأعيننا لا بمنظاره هو فنحاسبه كما لو كان كبيرا.. ونـفرض عليه أوامر لا يفهمها ويرى منها نوعا من التـعنت. فالواجب أن يحل التـفاهم والفـهم والإقناع محل الأمـر والنهى.. وأن نفرض عليه الحرمان إذا اضطررنا على درجات، وفى رفق حتى لا يلجأ الطفل الضعيف إلى الكبت أو الجنوح باعتباره الوسيلة محل الصراع الذى يخلفه الحرمان.

تأثير البيئة المضطربة على الطفل

فى ضوء العوامل المذكورة سابقا يمكن أن نفسر أسباب الظواهر النفسية المتعددة وبعض مظاهر الانحراف التى تصادفنا فى بعض الأفراد:

كالطفل الميال للعدوان.

والطفل المغرور.

والطفل الخجول.

والطفل الشرس.

والطفل المنطوى .

والطفل الجانح فى أى صورة من صور الانحراف.

كما يمكننا أن نفسر عوامل تكوين:

الطفل الناجح، والطفل الطبيعى فى تصرفاته وسلوكه، والطفل الممتاز فى خلقه والمعتدل فى طباعه . . وهكذا.

تأثير الوالدين على صحة الطفل النفسية:

مما سبق نرى أن الأسرة هى البيئة الأولى للإنسان، البيئة التى تمده بالمحفزات فى كفاحه الدءوب نحو التكيف أو تقيم المعوقات دون ذلك الكفاح؛ لذلك فإنه من البديهى أن تحقيق النضج الانفعالى أى الوصول إلى صحة النفس، لا يمكن أن يتم إلا من خلال طفولة منحت الحب والحنان، والقدوة الطيبة، والطمأنينة، فإنه لن يستطيع أحد غير الوالدين تزويد الطفل بذلك الغذاء الوجدانى الذى لا غنى عنه للصحة النفسية للطفل.

وما انتشار الأمراض النفسية فى مظاهرها المتعددة. . . إلا دليل على أن بيوتا كثيرة لم تستطع أن تحيط صغارها بالحب والطمأنينة اللذين بدونهما سيشبون على سقم واعتلال، فإن الذى لم يحصل إلا على القليل من الحب فى سنيه الأولى سيظل متعطشا إلى المزيد من هذا الغذاء الوجدانى، شاعرا بالحرمان من حقه أن يُحب، عاجزا بدوره أن يحبِ.

أهمية الطب النفسى للأطفال:

وأخيرا... فالطب النفسى للأطفال يعد من معالم الحضارة الراهنة.. أصبح علما قائما بذاته له أصوله، ومبادئه العلمية، وقد زادت الحاجه إليه فى السنوات الأخيرة.

فهو يهدف إلى:

* اكتشاف وعلاج الأمراض النفسية للأطفال فى مرحلة مبكرة ما أمكن ذلك.

* وكذلك يهدف إلى تجنب الإصابة بالمرض النفسى فى مرحلة متأخرة من العمر، وذلك بالعلاج المبكر للاضطرابات النفسية للأطفال.

* المساهمة فى تقويم الوسائل التربوية الخاطئة التى تؤثر على النمو النفسى السليم للطفل، إذ إن كثيرا من الاضطرابات النفسية للأطفال - كما ذكرنا - ترجع فى بعض أسبابها لمؤثرات أسرية أو بيئية غير مناسبة، فتقويم المعوج منها يكون جانبا هاما من أهداف الطب النفسى للأطفال.

الفصل الثانى

الأسرة.... والطفل

الأم.. والصحة النفسية للطفل

أ- أهمية علاقة الأم بالطفل:

أثبتت البحوث المختلفة أهمية علاقة الأم بالطفل كصاحبة الدور الرئيسى فى عملية التنشئة المبكرة للطفل فى السنوات الأولى من حياته .

* فالأم نقطة انطلاق الطفل، وحجر الزاوية فى تطور نموه.
* الأم تعد المعين الأول لكل ما قد يحس به الطفل من حاجة والكافلة الأولى لكل رغباته.
* الأم هى الشخص الذى يلبى رغبات الطفل، ويكفل حاجاته، وبالتالى يزيل عنه الألم والانزعاج، وبذلك تصبح عنده المصدر الرئيسى للذة والأمن والطمأنينة .
* الأم هى المركز الذى تدور حوله انفعالات الطفل، فهو يقلق ويحزن إذا غابت عنه أو أهملته، ويسر ويفرح ويطمئن إذا قامت برعايته وإشباع حاجاته النفسية والصحية.

ب- الأم والصحة النفسية للطفل:

من دعائم الصحة النفسية للطفل شعوره بأنه محبوب من أمه مقبول منها فى كل حين. ثبت أن من بين أساسيات الصحة النفسية للطفل، وجود علاقة حارة وحميمة ودائمة بأمه (أو بديل لها تكون بمثابة الأم) وفى كليهما يجد الإشباع والمتعة فى هذه العلاقة، التى كونها الطفل مع أمه فى باكورة حياته، والتى تأخذ أشكالا لا حصر لها فى تأثرها بعلاقته بأبيه وإخوته. أى أنها سوف تحدد نمو خلق الطفل وصحته العقلية مستقبلا.

ويقول جون بولبى : إن الرعاية الأمومية فى بداية الطفولة المبكرة شىء أساسى للصحة النفسية، كما أن جدواها عظيمة للوقاية من اعتلال الصحة النفسية والعقلية.

أما فى سن الرابعة وما يليها فإن الطفل يكون قد بدأ يشعر بوجود الآخرين، والتعرف عليهم، وتكوين علاقات معهم، وبخاصة مع أبيه وأمه، علاوة على أنه يكون قد بدأ:

يفرق بين نفسه وبين الكائنات الخارجية عن نطاق ذاته.

ويدرك شيئا من الوقت والزمن.

ولذلك يستطيع فى الغالب أن يتحمل إلى حين، ابتعاده عن أمه متطلعا إلى عودتها ورجوعها، ومتمتعا بالتسلية مع الآخرين.

ج- علاقة الطفل بالأم قبل الحرمان:

كلما كانت العلاقة حسنة وسليمة بين الطفل وأمه زاد ذلك من قدرته على أن يتحمل البعد عنها إلى حين بأمان وصحة وعافية.

فالطفل السعيد الذى يثق ويستمتع بحب أمه له، ويشعر بالطمأنية من جراء ذلك لا يحس بالقلق والخوف من فراقها الوقتى الجزئى. ولا يميل إلى تأويل غيابها عنه تأويلا مقلقا، كما يحدث عند الأطفال الذين لا يلقون من أمهاتهم إلا الإهمال، واللامبالاة، والحرمان من العطف.

أما إذا كان الحرمان تاما، فهذا يؤدى إلى اضطراب الصحة النفسية للطفل وشعوره بفقد الحب والحنان.. وكأن وجود أمه يشبع حاجته إليهما.

د- مدة غياب الأم:

قد تبين من البحوث المستفيضة فى هذا المجال أن الأطفال ذوى المشاكل النفسية هم الذين عانوا حرمانا عاطفيا كبيرا فى طفولتهم المبكرة، بسبب طول غياب أمهاتهم فى أعمالهن، ولا يخفى أن الأم بعد عودتها من عمل يوم طويل مضن، تكون فى أشد حالات التوتر والتعب والعصبية والإجهاد مما يؤثر على تعاملها مع الطفل مزاجيا وانفعاليا.

تأثير حرمان الطفل من الرعاية الأمومية:

أثبتت البحوث أن حرمان الطفل من العطف والحنان والمحبة غالبا ما يهدد كيانه بالخطر؛ لأن الحرمان العاطفى (حرمان الأمومة) كالجوع لا يمكن للطفل أن يتغلب عليه أو يتحمله دون أن يصيبه ضرر.

١- درجات الحرمان من الأمومة:

يتضمن الحرمان من الأمومة عددا من المواقف المختلفة:

* فالطفل يكون محروما حتى لو كان يعيش مع أسرته إذا لم تكن لأمه (أو لمربيته الدائمة) القدرة على منحه رعاية الحب.

* كذلك يكون محروما، إذا ما أبعد عن رعاية أمه بسبب ما، وتختلف الآثار الضارة للحرمان حسب درجاتها.

أ- الحرمان الجزئى: يصحبه القلق، والحاجة الملحة إلى الحب والمشاعر القوية للانتقام، وينتج عن تلك الأخيرة الشعور بالإثم والاكتئاب.

والطفل الصغير الذى لم يكتمل بعد نضجه العقلى والانفعالى لا يستطيع أن يقاوم كل هذه الانفعالات والدوافع.

وقد تؤدى طرق استجابته لكل هذه الاضطرابات فى حياته الداخلية إلى أمراض نفسية وسلوكيه ونقص فى ثبات الأخلاق مستقبلا.

ب- الحرمان التام: فإن تأثيره على نموه الخلقى يكون أعمق. وقد يعوق تماما قدرة الطفل على إقامة علاقات مع غيره من الناس.

ومن البحوث المستفيضة فى هذا المجال تبين أن الأطفال الذين يعيشون منذ ولادتهم حتى سن الثالثة فى مؤسسات، يعانون من مشكلات السلوك مستقبلا بدرجة أكبر من الأطفال الذين يعيشون فى منازل بديلة إبان تلك الفترة.

٢- التأثير يكون بحسب سن الطفل:

تبين أن التأثير الضار على صحة الطفل النفسية الناتج عن حرمانه من أمه يكون أخطر فى السنوات الثلاث الأولى من حياته، وذلك إذا ما ابتعدت عنه فترة طويلة لأى سبب من الأسباب.

- الأب .. والصحة النفسية للطفل:

أ- الطفل خلال الأشهر الأولى من حياته لا يشعر بأهمية الأب أو الإخوة، إذ ليس لهم دور وثيق الصلة به، أو ذات علاقة مباشرة بلذته، فليسوا هم الذين يطعمونه أو ينظفونه أو يتعهدونه بتلبية احتياجاته، أو يرافقونه طيلة الوقت ليداعبوه ويلاعبوه. وليس وجه أبيه هو أول وجه يطل عليه إذا صرخ مستغيثا من جوع أو ألم. إلا أن الأب يقوم بالآتى: مساعدة الأم وتهيئه الجو والإمكانات اللازمة لأداء رسالتها نحو الطفل وذلك بتوفير المال الكافى، والمسكن المناسب وأسباب المعيشة الضرورية.

* مساندة الأم بإتاحة السبل المختلفة لها، لتأديه رسالتها بدون عوائق، أو مصاعب، يشعرها بأنه متفهم لمهمتها، مقدر لمجهودها وتعبها، كما يحيطها بجو من التعاون والتعاطف، وبكل ما يوفر لها الأمن النفسى .

كل هذا سوف ينعكس على الطفل، ويؤثر فى أمنه أمن أمه نفسها.

ب- بعد انتهاء العام الأول من حياة الطفل يبدأ اعتماده على أمه يتناقص شيئا فشيئا. . وفى الوقت نفسه يصبح الدور الذى يلعبه الأب مباشرا وأساسيا بصورة كبرى ولذلك نجده:

إما شخصية تمثل السلطة المثيرة للخوف، أو القوة المثيرة للإعجاب، أو الأب الوديع الذى يلاعب أطفاله ويداعبهم ويبعث فيهم السعادة، ولكنه لا يسهم إلا بقسط ضئيل فى رعايتهم البدنية أو من العمل المنزلى، أو يمثل المطالب الاجتماعية والذهنية ويكون مصدرا للتأديب الذى يتفاوت لينا وشدة.

ج- فى السنوات الأربع والخمس بعد السنة الأولى ، يلعب الأب وأفراد الأسرة الآخرون دورا هاما فى حياة الطفل وتنشئته الاجتماعية ذلك أنهم يدخلون مع الأم الميدان الاجتماعى الأول الذى يحتويه. . والذى هو أساس خبراته الاجتماعية، وتجاربه، وطرق سلوكه، ومنه يكتسب أيضا عادات السلوك والتقاليد السائدة، التى يستخدمها الطفل فيما بعد فى تعامله مع الآخرين.

. العوامل الى أدت إلى اشتراك الأب بالتدرج فى الأعمال المنزلية، ثم أدت إلى تقريب آباء كثيرين من أطفالهم.

* عدم توافر المساعدة المنزلية فى معظم البيوت مع اضطرار كثير من الأمهات للخروج للعمل لسد الحاجات الضرورية للأسرة ماديا.

* العزلة التى تعيش فيها كثير من الأسر، وصغر حجم هذه الأسرة.

* عمق العلاقات التى تنشأ بين أفراد الأسرة فى ظل هذه المتغيرات.

* إحساس الزوج بالجهد والأعباء المنزلية التى تقوم بها الأم، بالإضافة إلى العناية بالطفل صحيا ونفسيا. مضافا إلى جهد العمل ومسئولياته.

٣- العلاقة الطيبة بين الوالدين.. والصحة النفسية للطفل:

تعد العلاقة بين الوالدين من أهم العوامل المؤثرة فى النمو النفسى للطفل، وهذه حقيقة مستقرة لا خلاف عليها بين خبراء الصحة النفسية اليوم، لأنها قامت أصلا على الخبرة المتكررة بالأطفال المضطربين نفسيا ثم تأيدت بتوالى هذه الخبرة بعد ذلك على مدى سنين.

والأصل بطبيعة الحال أن تكون هذه العلاقة قائمة على الحب، والود، والتفاهم، والاحترام المتبادل، ولكنها فى كثير من الأحيان مع الأسف، قد لا تكون كذلك، ويكون الشقاق والتنابذ باللفظ الجارح بل والعراك أيضا ما يسىء إلى العلاقة النفسية بينهما - الأمر الذى يؤثر على الطفل نفسيا وصحيا.

*** فكرة إنجاب طفل يعالج التصدع فى العلاقة بين الوالدين:**

هناك فكرة شائعة إلى حد غير قليل مؤداها أن الوالدين المتنابذين إذا أنجبا الطفل يعالج ما بينهما من تصدع.. بل إن هذه الفكرة تمضى إلى أبعد من ذلك. فتزعم أن التصدع إن لم يعالجه وجود طفل واحد فطفلان أو ثلاثة يمكن أن يقوموا بالغرض.

إن هذه الفكرة تتوقف على أن التصدع يرجع أصلا إلى عدم وجود شىء يثير الاهتمام المشترك للطرفين، ويملأ فى نفس الوقت هذا الفراغ النفسى بينهما؛ ولذلك، يكون وجود طفل باعثا على الاهتمام والمشاركة وبهذا تحسم المشكلة أصلا.

أما إذا كانت نواة الخلاف لأسباب أخرى، فإن وجود طفل أو أكثر قد يسبب تصدعا وتفاقم الخلاف. ولكن نتعلم أن تنشئة الأطفال هى فى حد ذاتها عبء على الحالة النفسية للوالدين. وهى تقتضى تكافئهما معا. فإذا كانت العلاقة بغير وجود الأطفال تكتنفها مصاعب ومشاكل، فإن المشاكل ستزيد مع وجود الأطفال. وكلما زاد عددهم زاد ثقل العبء حتى حد يتجاوز قدرتهما معا على الاحتمال.

*** وجود أطفال يساعد على بقاء الوالدين فى حياة مشتركة:**

قصارى ما يمكن أن يفعله وجود الأطفال هو بقاء الوالدين فى حياة مشتركة من أجل الأطفال . ولكن دون علاج تصدع العلاقة بينهما، وقد تظل العلاقة بهذه الصورة قائمة طوال الحياة الزوجية. وقد يبلغ التصدع الدرجة التى تحتم معها إنهاءها بالانفصال بعد فترة من الزمن، طالت أو قصرت وفقا لما لدى كل منهما من القدرة على الاحتمال.

*** بالتفاهم يمكن حل بعض المشاكل:**

وأيا كان الأمر فإن الوالدين العاقلين لا يتركان ما بينهما من مشكلات مبعثها الاختلاف فى الرأى أو الطبع أو المزاج تتفاقم دون حل .

بل يعملان على تفهمها عن طريق تبادل الرأى، ومحاولة الالتقاء فى منتصف الطريق. . والبعض ينجح فى ذلك، ويصل إلى حل موفق، أو حل وسط يجعل الحياة بينهما تمضى فى سلام، إن لم يكن بالإشباع الكامل فعلى الأقل دون مشاحنات عاصفة.

*** تدخل عامل «الكرامة» يحجب وجه الحقيقية:**

ولكن القدرة على الحديث الصريح من القلب إلى القلب وعلى تبادل الرأى فى صراحة وأمانة، وبدافع الرغبة فى حسم أوجه الخلاف، كثيرا ما لا تكون متوافرة، فيجد الوالدان أحدهما أو كلاهما نفسيهما، عاجزين عن الجلوس أحدهما إلى الآخر للتحدث أو الإصغاء، أو كلا الأمرين معا.

وهنا تتسع شقة الخلافة بينهما، ويستفحل التصدع فى علاقتهما، ويتدخل عامل «الكرامة» أو «الكبرياء الزائفة» ليحجب عنهما وجه الحقيقة حتى تنتهى العلاقة بينهما إلى ما لابد أن تنتهى إليه فى مثل هذه الأحوال.

*** نقل المشكلة إلى رجل الدين أو الطبيب النفسى:**

فإذا لم يستطع الزوجان الإصغاء أحدهما للآخر، أو إذا عجز حديثهما عن أن يحقق الغاية المرجوة منه، فقد يكون من الخير نقل المشكلة إلى رجل الدين أو إلى

الطبيب النفسى فهو مؤهل لفهم المشكلات النفسية، ومن بينها المشكلات الزوجية، كما أنه قادر على اقتراح الحل الملائم لها، إذا أعطاهما من وقته وجهده ما ينبغى أن يعطى .

٤ - الطريق إلى العلاقة الطيبة بين الوالدين لتوفير الصحة النفسية للطفل.

أ- توفير الجو الأسرى المترابط:

إن الإنسان لكى ينشأ نشأة تربوية صالحة تساعده على التمتع بشخصية مرموقة سليمة، يحتاج بالضرورة إلى أن يعيش طفولته الأولى بكل أبعادها وكذلك كل مراحل عمره التالية، فى جو مشبع لحاجاته النفسية التى تساعده على أن يتكيف مع بيئته رغم ما يعتريها من صعاب ومتاعب.

* وحتى يتيسر للوالدين اختيار الأسلوب الذى يعالج مشاكل الطفولة فى مراحل العمر المختلفة، عليهما اتباع فلسفة «**الوقاية خير من العلاج**» وذلك بالتعرف على حاجات أطفالهما النفسية: كالحاجة إلى الحنان، والشعور بالأمان، والتقدير، والحب، والنجاح، والحرية، والانتماء فإن إشباع هذه الحاجات النفسية بالأسلوب السوى المستنير خير تمهيد لإرساء قواعد الشخصية الأسرية الناجحة فى المستقبل.

* إن الطفولة السعيدة أساس الحياة السعيدة الناجحة، والأسرة السعيدة هى التى تبث الاتجاهات الأسرية الصحيحة فى أطفالها وأبنائها بدءا من نشأتهم الأولى، مما يؤهلهم ليكونوا فى شبابهم ومراحل اكتمالهم زوجات وأزواج سعداء، صالحين، يستمتعون بحياة أسرية هادئة هانئة.

ب- على الوالدين تجنب الأخطاء النفسية الضارة على الحياة الأسرية:

مثال ذلك: الأنانية فإنها رذيلة رهيبة لو سيطرت على أحد الشريكين لسعيه لفرض ذاتيته ورغباته على الشريك الآخر. بينما المفروض أن تذوب أنانيتهما فى حبهما المتبادل . وبذلك يكونان القدوة الصالحة للأطفال.

ج- على الوالدين تقبل كل منهما الآخر بضعف ذاته وميزاته

على كل من الزوجين أن يفنى نفسه فى حبه للآخر. ولا يعنى هذا إلغاء شخصيتهما وإنما يعنى ازدهارهما، ويكتشفان نواحى الضعف، ونواحى القوة فيما بينهما . ومن خلال آداء العبادات بشكل جماعى فإن ذلك يجعلهما يسعدان معا فى

الفضـيلة، وبذلك تصبح العلاقة الزوجـية جزءا من كل، وعنصـرا فى تنظيم متكامل، ومتجها لتفاهم مشترك، بل وحافزا من التفاهم. الأمر الذى يؤدى إلى إحساس الأطفال بالأمان، والراحة النفسية.

د- على الوالدين أن يتسلحا بالاتزان الانفعالى، أى الهدوء النفسى:

وهنا يتطلب الأمر تجنب التهور، والهياج، والعصبية لأسباب لا تستدعى ذلك.. فالوالدان اللذان يتمتـعان بالاتزان الانفعالى، ينشأ أبناؤهما على الثـقة بالنفس، والتفتح للحياة والابتسام لها، والإحساس بالطمأنينة تجاه حاضرهم ومستقبلهم، فيسود الاستقرار حياتهم وحياة من يحيطون بهم.

هـ- على الوالدين أن يشجعا أطفالهما على العبادة الهادئة:

والتأمل فى محبة الله، والجلوس معهم من وقت لآخر يتأملون معهم كلمة الله، ويوضحون لهم أهمية العلاقة بينهم وبين الله، لأن فى ذلك تقوية للأسرة، وارتقاء إلى حياة السلام، ومشاركـة تمثل قيمة الانتماء، إذ إنها تنشط اجتماعا مشـتركا حول مصدر الحياة، خالقها وواهبها، وحافظها.

و- على الوالدين تنمية الحب والإحساس بالانتماء المتبادل بينهما:

وهذا يعنى أن يكون الحب بينهما عميقا ودائما ويكرس كل منهما حياته للآخر، ويفنى فى سبيل سلامته وسعادته.

والإحساس بالانتماء المتبادل هو جوهرة العطاء والأخذ من كل من طرفى الشركة الزوجية، أى أن كلا من الزوجين ينتمى إلى الآخر.

والواقع أن ما يحدث فى الحب هو أن كلا الطـرفين يضع كل ما يملك فى الحياة ليس فقط فى الجوانب المادية؛ لأنها غير مهمة نسبيا هنا، ولكن فى الجوانب الأكثر قيمة وهى الجوانب العاطفية والذهنية والروحية ليصبح واحدا فى الآخر. فعلى الرغم من أن الزوجين ظاهريا شخـصان منفصـلان لكل منهما شـخصيتـه الخاصة وأخـلاقه وتكوينه ومزاجه، ولكنهما يصبحان كيانا واحدا بعد الزواج. وهذا الإحساس بالانتماء ينتقل إلى الأبناء وينمو مع الوقت فتصبح الأسرة وحدة مترابطة متحابة، متعاونة..

وهذا هو الطريق إلى الصحة النفسية، الأمـر الذى يساعد على تمهيد السبيل إلى خلق أبناء سعـداء، يخدمون أنفسـهم وأسرتهم ووطنهم، فتسـعد بهم أسرهم ويفـتخر الوطن بأعمالهم.

٥- العوامل الأسرية التى تعوق تحقيق الصحة النفسية للطفل:

إن الأسرة المعاصرة أصبحت عاجزة عن توفير الصحة النفسية لأطفالها ورعايتهم تربويا، ونفسيا، واجتماعيا بالقدر الكافى، وذلك لتغير القيم، وتغير نظرة الناس، نساء ورجالا إلى الحياة وقيمها. وأهم العوامل التى عاقت الأسرة ولا تزال تعوقها عن القيام بدورها كاملا فى تنشئة الطفل تنشئة طيبة تحقق مطالب نموه، وترعى تفتح شخصيته فى كل مرحلة من مراحل نموها هى :

أ- خروج المرأة إلى العمل:

ومن أسباب خروج المرأة إلى العمل:

* لتأكيد شخصيتها، ورغبتها فى الحفاظ على مستوى معيشة مرتفع.

* الاضطرار للكفاح مع زوجها فى مواجهة مشقة الأحوال الاقتصادية، وغلاء الأسعار، وذلك بالحصول على قدر من المال يرفع دخل الأسرة.

* لتحمل عبء الأسرة بمفردها، إذا كانت هناك أسباب قاهرة تدعوها إلى ذلك كانفصال زوجها عنها بالوفاة، أو الطلاق، أو العجز عن العمل.

حياة طفل الأم العاملة:

إذا كان الطفل لأم عاملة وجد نفسه:

١- فردا فى أسرة منعزلة.

٢- يعيش أغلب وقته فى مسكن صغير بين جدران الحجرات الضيقة.

٣- مجال اللعب فى أغلب الأحيان محدود، بل إنه غالبا ما يكون متعذرا فى كثير من المساكن الحديثة فى المدن، وهى شقق صغيرة تضيق بالأثاث .

٤- رغبة الطفل فى البحث والتنقيب والتجريب فيما حوله من الأشياء تقيدها رغبة الكبار فى المحافظة على أثاث البيت وأدواته وصيانتها من العبث وفى حب المحافظة على نظافة المسكن ونظامه.

٥- أما خارج البيت فالبيئة صاخبة خطرة، بل إن خطرها ليتفاقم ويشتد، إن ابتعد عن البيت. وكثيرا ما يتعذر عليه أى اتصال بغيره من الأطفال حتى الكبار منهم،

إلا فى حالة وجود خادمة قد تكون قاسية غير ودودة أو مهملة لا تعيره عنايتها، لأنها بعيدة عن رقابة والديه الغائبين كل منهما فى عمله.

*** تأثير هذا المناخ البيئى على نفسية الطفل:**

١- هذه البيئة التى يعيش فيها الطفل (طفل المرأة العاملة) لا تثير فى نفس الصغير إلا الضيق والتوتر، والضغط، والشعور بالحرمان؛ لأنه لا يستطيع أن يدرك أسبابها.

٢- كذلك وجود الطفل أثناء غياب الوالدين، مع خادمة جاهلة ليس لديها المعرفة الخاصة برغبات الأطفال، وأصول التعامل معهم، لا بد أن تقع فى أخطاء تسىء إلى نفسية الطفل، وتؤثر فى سلامة سلوكه.

٣- يضاف إلى ذلك معاناة الطفل نفسه من حرمان نفسى لطول غياب أمه وأبيه فى عملهما، وغياب إخوته الأكبر فى مدارسهم.

ب- شدة وطأة الأعمال المنزلية:

انشغال الأم بعملها وبإدارة منزلها كثيرا ما يكون من العوامل التى تعوقها عن إشباع بعض حاجات الطفل النفسية، ورعايته الرعاية الكاملة.

وفيما يلى بعض العوامل التى تتضافر كلها على إرهاق الأم العاملة عندما تحاول التوفيق بين القيام بأدوارها الاجتماعية كزوجة وكربة بيت.

أ- العزلة الاجتماعية والتباعد الفكرى اللذان تعيش فيهما كثير من الأسر العصرية، حيث تعيش فى استقلالية بعيدة عن الجيران والأقارب.

ب- قلة الخدم فى المنازل بسبب تفضيلهم العمل فى المصانع.

كل هذه العوامل، تجعل من العسير على الأم العاملة أثناء قيامها بأعمالها المنزلية، أن تقابل حاجات أطفالها الصغار المتلاحقين فى الميلاد.

ولا شك أن هذه الأوضاع لا بد وأن تؤدى إلى إرهاق الأم وتوترها، الأمر الذى ينعكس بدوره على أطفالها وزوجها فيسود التوتر جو البيت، ويؤدى ذلك إلى عرقلة نمو الطفل الوجدانى وامتصاص نشاطه وحيويته. وإن لم يكن الزوج فى ظل هذه الظروف متعاونا مسامحا، فسوف يزيدها ذلك إرهاقا وتوترا. وإذا ما انعكس ذلك على الأطفال فإن الحالة تزداد سوءا، ويصبح جو البيت مزعجا بالنسبة لهم.

ج- سوء الأحوال السكنية:

إن مما يعيق الأسرة عن تأديه وظيفتها فى تنشئة أطفالها سوء الأحوال السكنية:

١- الأطفال فى الأسر الفقيرة:

حيث يعيشون فى مساكن مزدحمة، شديدة الجلبة والضوضاء، رديئة التهوية، وغير مكتملة المرافق الصحية، ولا يخفى ما تسببه هذه الأحوال من أضرار للأطفال فى سنوات نموهم الحساسة. وليس من شك أن هذه الأمور تحول دون نومهم الهادئ، وراحتهم الكافية، وتسبب لهم الإرهاق والتهيج والتوتر.

يضاف إلى ما سبق من أضرار، أن ظروف المسكن الضيق يترتب عليها أن ينام الأطفال مع الوالدين فى حجرة واحدة، بما قد يعرضهم لخبرات تؤدى نفوسهم وتؤثر سلبا فى شخصياتهم؛ وذلك لأن الأسرة لا تستطيع أن تمنع أطفالها من الاطلاع المبكر على العلاقات الجنسية، فتشغل أذهانهم دون فهم لحقيقتها وتدفعهم إلى الممارسة - المبكرة لألوان جنسية مختلفة تؤثر على سلوكهم مستقبلا.

ثم إن ازدحام أفراد الأسرة فى حجرة واحدة يعرضهم للعدوى ببعض الأمراض، وقد ثبت أن هناك علاقة مباشرة بين سوء الأحوال السكنية وتعثر النمو واعتلال الصحة بدليل أن نسبة التعرض للأمراض ونسبة الوفيات فى الأحياء الشعبية المزدحمة تزيد عنها فى الأحياء الراقية.

وبسبب الازدحام فى السكن وضيقه يلجأ الأطفال إلى الشوارع بتشجيع من آبائهم تخلصا من مضايقتهم، فينطلقون فى اللعب فيها دون رقابة من أحد. الأمر الذى يعرضهم لأخطار الأتربة والقذارة وميكروبات الأمراض. كما يتعرضون لأصحاب السوء وحوادث المواصلات.

٢- الأطفال فى أسر الطبقة المتوسطة والراقية:

حتى هذه الأسرة تجد صعوبة فى أن توفر للطفل فى مسكنها المساحة الرحبة لحركته، وانطلاقه ولعبه وذلك:

* لازدحام المدن بسكانها نتيجة الزيادة الطبيعية من جهة، والهجرة إليها من الريف ومن البلاد الصغيرة من جهة أخرى، الأمر الذى أدى إلى زيادة القيود على حرية الأطفال، وزيادة شعورهم بضغوط الحياة وحرمانهم وتوترهم .

* المسكن الحديث محدود الغرف، وكل غرفة مزدحمة بالأثاث الذى يخشى عليه من الكسر، أو الاتساخ من أيدى الأطفال هذا فضلا عن وجود أجهزة وأدوات يخشى على الطفل منها إذا عبث بها كالبوتاجاز والمكواة الكهربائية والتليفزيون، والمروحة الكهربائية.

وليس للطفل عادة مكان يلعب أو يتحرك فيه. فإذا رفع صوته نهروه، وإذا قفز لاموه، لأن السكان فى العمارة متحفزون للشكوى من صخب الأطفال ولأن الوالدين يشعران بالالتزام بكثير من القيود والاعتبارات محافظة على راحة الجيران.

وبذلك يتعرض الأطفال فى المساكن العصرية إلى التوتر النفسى :

وهكذا نجد أن الأطفال فى هذه المساكن العصرية، هدف مستمر لرقابة الكبار، وكثرة أوامرهم ونواهيهم، وأن رغبات الأطفال فى تعارض حاد متواصل مع رغبات الوالدين، وتلك بلاشك من العوامل التى تسبب وتزيد التوتر النفسى نحو الطفل، وتنمى إحساسه بأنه غير مرغوب فيه فى بيته ومن أحب الناس إليه، الأمر الذى يؤثر فيه وفى اتجاهاته الوجدانية عادة.

د- قلة الحدائق العامة والمتنزهات:

والمفروض أن يعوض الطفل عن ضيق المسكن وازدحامه بتوفير الحدائق والمتنزهات لتفتح له مجالا للانطلاق والحرية والسعادة الحقيقية التى يجدها فى اللعب، إلا أنه مع الأسف بالنسبة للحدائق نجد أنها:

١- قليلة نسبيا بالنسبة للحاجة الشديدة إليها.

٢- ليس كلها على مقربة من المنازل، وكثيرا ما يتطلب الوصول إليها سيرا طويلا وسط الصخب والزحام، أو ركوب مواصلات قد لا تتسنى للأم الفقيرة القدرة على تحملها من ناحية الأجر.

٣- عدم توافر الوقت الكافى لدى الأم لاصطحاب الأطفال إلى الحديقة لبعدها من ناحية، ولعدم استطاعتها البقاء معهم فترة تشبع ميلهم المتأجج للعب وللنشاط، وبخاصة فى الصباح؛ لأنها فترة انشغال كل أم إما بعملها أو وظيفتها خارج المنزل، أو بعملها كربة بيت داخله.

هـ - عدم ملاءمة البيت لمتطلبات الطفل:

ومن العوامل التى تعوق الأسرة عن إشباع حاجات الطفل النفسية، أن البيت فى غالب الأحيان معد إعدادا لم يأخذ فى حسبانه الطفل وحاجاته، بل إن إعداده يجعله أكثر ملاءمة لحياة الكبار منها لحياة الصغار. والواقع أن الطفل فى البيت العادى يقابل كثيرا من الصعوبات من بينها:

١- معظم قطع الأثاث حوله أكبر منه حجما، فهو لا يستطيع دفعها أو جذبها أو رفعها، ثم إن أكثر الأبواب فى الغالب إما عالية عن متناول يد الطفل وإما ثقيله بشكل لا يمكنه تحريكها.

٢- الكراسى، والأرائك كلها فى الغالب مرتفعة ارتفاعا يضطر إلى أن يتسلقها حتى يستطيع الجلوس عليها. وحتى إذا جلس على كرسى أعد خصيصا له، وأراد أن يطعم نفسه، فإن الأمور لا تسير سلسه وتبعا لرغبته، وحسب سرعته الخاصة، بل بسرعة الكبار ورغباتهم وضغطهم عليه.

فبدلا من أن تترك الأم صغيرها يتدرب على الأكل بإطعام نفسه على راحته، وبطريقته التلقائية مستمتعا لقدرته على الاستقلال والاعتماد على نفسه، فتدخل هى لتفرض عليه تناول الطعام بالشكل الذى تختاره فتطعمه بنفسها وتستعجله فى تناوله الملعقة تلو الأخرى بشكل يضطره للبلع السريع، ولا تتيح له فرصة المضغ الجيد.

٣- المسكن يحتوى على الكثير من الأشياء التى تخص هذا أو ذاك من الكبار، والتى يكون محظورا على الطفل أن يقربها أو يلمسها. فللوالد كتبه وأدواته ومكتبته وللوالدة ماكينة الخياطة وأدواتها وللإخوة الكبار أدواتهم الخاصة المدرسية والمنزلية والطفل بالطبع لا بد أن يحترم ممتلكات الآخرين. ويحافظ على النظام، ولكن فى الوقت نفسه، يجب أن نعترف أن الطفل الذى يقضى وقته يوما بعد يوم فى جو كهذا تحيطه من كل جانب أشياء محظور عليه المساس بها، لا بد أن يشعره بكثير من العجز والتوتر النفسى .

٤- الطفل فى البيت العادى يقابل كثيرا من الصعوبات، فهو لا يجد دائما الزمالة والصحبة المناسبة. فالأم والأب يكبرانه بكثير، وإن تفرغا إليه مرة انشغلا عنه

مرات، وإن استمتعا باللعب معه فى قليل من الأحيان تبرما من نشاطه فى كثير منها، وإن صبرا عليه بعض الوقت فهما لا يستطيعان طوال الوقت.

٥- تتدخل الأم فى كثير من أنشطة الطفل التى يجب أن يمارسها بنفسه مزهوا بقدرته على الاستقلال والتشبه بالكبار:

كارتداء الملابس، وربط الأحذية، وتمشيط الشعر، وغسل اليدين والوجه وغير ذلك.. فكثيرا ما تضطر الأم لكثرة مشاغلها وضغط الظروف المحيطة بها، ورغبتها فى توفير الوقت وإنجاز الأمور، أن تقوم هى بعمل الشىء بنفسها قاطعة استرسال الطفل فيه، وكان الأحرى أن تتركه يعمله بنفسه من أوله لآخره، فيكتسب الخبرة كاملة غير منقوصة، وبالتالى يكتسب العادات الطيبة التى تتولد بالتدريج.

إن تدخل الأمهات بهذا النحو فى نشاط الأطفال الصغار وسلوكهم يؤخر كثيرا من نضجهم، ويحد من نموهم وقدراتهم ومهاراتهم، فضلا عما يسببه لهم من ضيق وتوتر يعبرون عنهما بالعناد، والانفجارات الانفعالية فى كثير من الأحيان.

مما سبق: نرى أن الأوضاع الطبيعية للبيت العادى تعرقل بالضرورة وإلى حد لا يستهان به، شغف الطفل بالتعلم والاستكشاف، وولعه بالانطلاق والحرية فى نشاطه ولعبه، وبعبارة أخرى: فإن عالم البيت عالم الكبار ولا يمكن أن يكون عالما للطفل يوفر له كل متطلبات الطفولة السعيدة والنمو الأمثل؛ ولذلك: يرى علماء النفس والمهتمون برعاية الطفولة بأن دور الحضانة والمدرسة يمكن أن تعوض:

* عجز الأسرة عن أداء وظيفتها نحو تربية أبنائها التربية الأخلاقية، التى تمكن أن تقوم عليها التربية الدينية والاجتماعية التى تجعل من الفرد مواطنا صالحا، حيث إنه يجب على الأسرة بث الروح الاجتماعية فى أطفالها، وترويضهم على أن يكونوا مواطنين فاضلين، وتعويدهم على تحقيق التوازن فى ذاتيتهن بين ما هو ممكن وما هو متاح، والاعتدال بين الأنانية والغيرية.

* ضعف الأسرة فى المحافظة على الانضباط والنظام، وذلك لأن العنصر الأساسى فى روح الخضوع للنظام، وهو احترام التقاليد لا يمكن أن ينال حظه من النمو فى الوسط العائلى، وذلك لأن أفراد الأسرة يجدون من الطبيعى جدا أن يتمتعوا فيما بينهم بشىء من الحرية والتبسط وهم بذلك: متبرمون بفكرة التحديد الصارم، ثم إن

الواجبات العائلية، تتسم بطابع خاص، وهو أنها لا تثبت نهائيا فى شكل قواعد محددة يجب أن تطبق بحذافيرها دائما، ولكنهــا عرضة لأن تتنوع الطبائع وظروف الحياة داخل نطاق الأسرة، وتتـأثر باختلاف الأمزجـة، وبما يبرمه الأعضـاء فيما بينهم من اتـفاقات تهدف إلى تيسير الأمور على كل منهم بدافع من المحبة والألفة.

ولذلك : أصـبحت دول كـثيرة تعـتمـد على دور الحضـانة والمدرسة فى تربـية الأطفال التربية التى تراها لتدعيم مبادئها، وتحقيق أهدافها القريبة والبعيدة.

هذه هى العوامل التى تعـوق الأسرة عن تهيئة الوسط المناسب والرعـاية الواجبة لتنشئة الأطفال تنشئة سليمة، وإشباع حـاجاتهم المختلفة إشباعا يحقق النمو السوى من الناحية الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية، وكلما اشتدت وطأة التغير الاجتماعى والتطور الاقتصادى ازداد المجتمع تعقيدا . وزاد بالتالى أثر العوامل التى تحول دون قيام الأسرة بمهمتها فى رعاية الأطفال.

وأصبح عجزها فى هذه المهمـة، وفى تنشئتهم النشأة الاجتماعيـة المرغوب فيها- أمرا واضحا.

الفصل الثالث

الأم.. والصحة النفسية للطفل

إن الأعوام الأولى فى حياة الطفل هى أشد المراحل خطرا فى حياته بوجه عام، إذ يتقرر خلالها نوع الشخصية التى سيكون عليها الفرد فيما بعد. .

لذلك:

تقع على الأم مسئولية خطيرة لها أثرها البعيد، لا على العائلة التى هى أحد أفرادها فحسب، وإنما على الوطن أيضا، بل على العالم أجمع. . . فإن طفل اليوم الذى تقوم بكل حاجاته من غذاء الجسم، وغذاء النفس، هذا هو الطفل رجل الغد. . . وبرجل الغد هذا تتكون الأسرة، ومن مجموع الأسر يتكون الوطن، ثم أخيرا يتكون العالم.

فإن الأم فى بيتها تبذل كل جهد مستطاع، فى سبيل العناية بالصغار، هى فى الواقع تضع حجر الأساس للسلام فى بيتها، ووطنها وللعالم أجمع ؛ لأن الطفولة هى المرحلة الأولى فى حياة الفرد.

إذن: فهى بمثابة الأساس الذى يقوم عليه البناء الخاص بتكوين شخصية رجل الغد أى المواطن الذى نرجو أن يكون ناجحا، سواء كان رجلا أو امرأة.

البيت المدرسة الأولى للطفل:

الأم بصفة خاصة، كل شىء فى هذه المدرسة. . فعليها أن تقدم كل ما فى وسعها من جهد، فهى أقرب الأفراد داخل البيت إلى الطفل: إلى جسمه، وإلى عقله، وإلى عواطفه، بحكم مكانتها هذه منه، أصبحت هى أول فرد يؤثر فى تكوين شخصيته خلال هذه الفترة من حياته. . . أى السنوات الأولى له. . فهذه السنوات: أشد المراحل خطرا فى حياته بوجه عام؛ إذ سيتقرر- كما ذكرت أعلاه- نوع الشخصية التى سيكون عليها فيما بعد.

أم اليوم أوفر حظا من أم الأمس:

إن الأم اليوم التى تنتظر أن تكون أما أفـضل من أم الأمس، لأنها حظيت بقسط أوفر من نور العلم، وتعددت لديها أساليب الثقافة التى من شأنها أن تعينها على تدعيم الأسرة، وتفهم سلوك الطفل، مما لم يكن متوافرا حينئذ لدى أم الأمس.

فالأمومة الواحدة: هى التى تعنى بغذاء الذهن ليستنير فتنبه الشخصية لتنضج.. وهى التى تعرف كيف تجمع بين تـنشئة أبنائها وسياسة بيـتها، بين الحزم والعطف، فى إتزان يشيع هناءة، وإلهاما حول أطفالها وزوجها.. الأمر الذى يحفظ لها مكانتها خلال جمـيع مراحل حياتهـا، ويحمل طفل اليوم، ورجل الغـد على تمجيد الأمومـة ورعاية الأنوثة.

أم اليوم جديرة بأن تعالج مـشكلات أطفالها بطريقة غير الطريقة التى اتبـعتها أم الأمس:

يجب عليها أن تضيف جديدا إلى خبرات أم الأمس، وأن تصحح ما كان شائعا من أخطاء، وهذا يحتاج إلى توجيه بعض اهتمـاماتها إلى التزود بما يقدمه لنا، من يوم إلى يوم. المشتغلون بدراسة الطفولة واحتياجاتها النفسية. لا تتلمس الحل للمتاعب التى تصادفها فحسب، بل لتقوم بالعلاج على أساس من الإدراك والوعى العلمى .

ينبغى على الأم المقبلة على تنشئة الطفل الاستعانة بآراء المتخصصين:

فالتنشئـة النفسية للطفل لا تتـم من تلقاء نفسها، بل هـى علم وفن، سوف تجد الأم فى آراء هؤلاء المتخصصين فى مثل هذه الأحاديث، وفى بعض المجلات والكتيبات التى تعنى بمسائل الطفولة، وأصول التنشئة النفسية الأولى للإنسان الصغير.. متعة كبيرة مظهرا ومخبرا.

الأم وخلق المواطن الصالح:

١ - الصفات العامة للمواطن الصالح:

* هو الشـخص الذى يواجه الأمـر الواقع بشـجاعـة، والقدرة على حل مـا يوصله من مـشكلات بدلا من التهرب مـنها أو الاعتـماد على غـيره فى حلها.

* هو الشخص الذى يتقن فن الحياة. يحيا حياة منسجمة مع نفسه والآخرين .

* هو الشخص الذى يخرج من الأزمات أقوى مما كان قبلها.

* هو الشخص الذى يتخذ من التفاهم وسيلة فى التعامل مع الغير.

* هو الشخص الذى يعرف قدر نفسه. الاهتمام بهموم الغير.

(ما استحق أن يولد من عاش لنفسه...).

السبل التى تساعد الأم على خلق المواطن الصالح:

* أن تقوم بمهمة التربية بنفسها.

* أن يسود البيت الجو العائلى الهادئ.

* أن تهتدى فى ذلك برعاية الحاجات النفسية للطفل.

دور الأم وخلق المواطن الصالح:

١- الأمومة والحنان:

الحنان هو الذى يجعل من الطفل إنسانا سويا خاليا من الاضطرابات النفسية... وتكون علاقاته الاجتماعية سوية... وحياته صريحة واضحة، وتتجه أفكاره إلى جانب الخير على الدوام.

والطفل المحروم من الحنان، ينشأ إنسانا مدمرا، يحاول أن يدمر الآخرين ويجرفهم فى تياره... أغلب الانحرافات السلوكية، والجرائم يرتكبها إنسان فقد الحنان من الأمومة فى طفولته.

٢- الأمومة وشخصية الطفل:

تسلح الأم، ومعرفتها بوظائف الأمومة يساعدها على تدعيم حياة الطفل:

* تدفع عنه الأمراض.

* تخفف عنه الآلام.

* تجنبه المخاطر أثناء عملية المشى وتناوله الأشياء.

* تجنبه ما يعانيه من صعاب فى تناول الأطعمة المختلفة.

* تساعده على تعلم عادات الأكل والإخراج والاغتسال، والحمّام... إلخ.

٣- شخصية الأم الصالحة...والطفل:

على الأم تقع المسئولية الأولى فى تنشئة الطفل نفسيا، وصحيا، واجتماعيا، ووجدانيا، فعليها:

* أن تلتزم بالصفات الحسنة محاولتها الدائمة لضبط النفس والتحلى بالصبر.
* العمل على خلق الجو الأسرى الهانئ.
* أن تلجأ إلى التعلم والتثقف فى جوانب التربية للأطفال بصفة مستمرة من وسائل الإعلام، والأطباء، والمجتمع.
* تجنب العنف والخشونة، والألفاظ غير اللائقة.
* تجنب التفرقة فى المعاملة بين الأطفال.
* أن تحب أطفالها وتكون القدوة الصالحة فى التعامل معهم.
* القدرة على اكتشاف الأعراض المرضية جسميا ونفسيا واجتماعيا وعاطفيا واتخاذ اللازم للمساعدة.
* أن تكون مصدر الحب، والحنان، والحكمة، والعطاء.

٤- الأمومة..وتنمية قدرات الطفل:

* تلفت نظره إلى الكتب الملونة.
* تحاول تكرار العبارات والجملة أمامه، والتحدث إليه بهدوء دون انفعال.
* تشجيعه على طلب احتياجاته.
* تعلمه من خلال اللعب والمكعبات ؛ وترغيبه فى حب الكتاب.
* تمده بالمحفزات، والتشجيع بالقول والفعل.
* تكثر من ذكر مميزاته الذاتية دون التعرض لسلبياته كى تكسبه الثقة بالنفس.

٥- الأمومة... وتجنب العقاب البدنى:

* يجب أن يشعر الطفل أن تعديل السلوك يسعد الوالدين.

* ينبغى تجنب التهديد بالعقاب... أو العقاب البدنى.

* العقاب البدنى لا ينجح فى تعديل السلوك الخاطئ - بل يؤدى إلى الاضطراب النفسى.

* يظهر الاضطراب النفسى بصور متعددة منها: العصبية - العناد - عدم الطاعة - التبول اللاإرادى - العدوانية - العنف - الانطوائية - اللجلجة - التخريب - الميل إلى البكاء - الاكتئاب - الخوف - وأخيرا الفشل الدراسى مستقبلا.

* ينبغى أن يعامل الطفل بصورة ودية بالإرشاد، والتوجيه، والحزم.

* على الأم تجنب العصبية، وتشرح للطفل كيفية تجنب الخطأ بهدوء عن حب الأم، وليس الخوف منها.

٦- تعليم الطفل الكثير من الآداب الاجتماعية وآداب الجلوس:

* فى زيارة الأقارب - ودور العبادة - آداب الحديث، والطعام.

* تجنب الألفاظ النابية فى تعامله مع الأصدقاء.

* تعويد الطفل على سماع كلمات الود، والمجاملة، والحب، والفضيلة.

٧- التزام الصدق والبساطة فى الإجابة على أسئلة الطفل:

* يراعى فى الإجابة على أسئلته مستوى عقليته، ومرحلة نموه.

* تحفيظه الكثير من العبارات الدينية بالنغم والموسيقى.

* أن تكون الأم مرنة فى حديثها مع طفلها، صبورة، متفاهمة بعيدة عن العصبية.

* أن تكون طويلة البال، مستريحة الأعصاب، ومرحة.

* يتخلل حديثها مع الطفل: المرح، والتشجيع، وتوضيح مزايا سلوكه.

٨- الأم.. وضرورة تسلحها بالحكمة:

* تميز بين أوقات المرح والجدية.

* تحل مشاكلها ومشاكل أطفالها بهدوء وصبر وبدون انفعال.

* تجنب العصبية والعنف والقسوة، والعقاب البدنى والسخرية.

* تكون محبة لأطفالها، وتزرع فى نفوسهم الصدق، والتعاون، والتسامح.

* تزرع فى قلب طفلها حب الله، وطاعته، وتعليمه الفضائل والقيم الأخلاقية.

* تحترم أبناءها وتشجعهم، وتقدر جهودهم، وتكون صديقة لهم.

* تعمل على إشباع حاجاتهم النفسية: حب، وتقدير، وتشجيع، ونجاح.. إلخ.

* تتجنب المواقف التى تثبت بالتجربة أنها تثير غضبه.. فالوقاية خير من العلاج.

صفات الأمومة الصحيحة:

١- أن تكون لابنها القدوة الحسنة والأم المثالية.

٢- أن تعلمه الصدق فى الحديث، والوفاء بالوعد.

٣- أن تزرع فى نفسه وقلبه الميل إلى الغير.

٤- أن تنمى فيه طيبة الروح وحب التسامح إلى جانب الوعى. حتى لا يكون حَمَلاً بين ذئاب.

٥- أن تضبط تصرفاتها، وانفعالاتها لتكون له القدوة فى التحكم فى عصبيتها.

٦- أن تنمى فى الطفل الإحساس بالجمال عن طريق البساطة فى الملبس وتجنب الإسراف، ومراعاة الحكمة فى استخدام المال.

٧- أن تزرع فى قلبه مخافة الله فيما يفعل أو يقول.

٨- أن تعلمه أن حب الوطن من الإيمان.

٩- أن تفهمه أن الحسد، والحقد، والضغينة أمراض تقتل من تسكن فى قلوبهم، وعقارب تقتل بسمومها أصحابها.

١٠- أن تفهم نفسية أبنائها فى كل مرحلة من مراحل السن، وما يناسب كل مرحلة من أسلوب التعامل، والتقدير للمشاعر.

١١- أن تكون طويلة البال، مستريحة الأعصاب، ولا تجعل أولادها ضحية عصبيتها، وقد يلتقط أولادها هذا الأسلوب فى تعاملهم مع بعضهم، بينما المفروض فيها أن تكون قدوة لهم فى كل شىء.

١٢- أن تكون مصدر الحب، والحنان، والعطاء، والحكمة فإحساس الطفل بالراحة والأمان، وتكرار هذا الإحساس بمثابة اللبنات الأولى التى يتكون منها هذا الشعور.

١٣- تصحيح أخطاء الطفل دون أن تتخلى عن حبه، وإشعاره بهذا الحب رغم العقوبة البسيطة .

١٤- أن تكون الأم صديقة لأبنائها، ولا تسخر منهم، ولا ترهقهم بمشاكل الكبار .

الأم..وسلوك الطفل:

* تجنب سياسة عدم الثبات، أو الخشونة أو السلبية الزائدة أو الليونة.

* التأنيب والتوجيه والإرشاد بدون انفعال إذا أخطأ، ينبغى أن يبت فيه فى الحال دون تأجيل لمساعدة الطفل على فهم نتائج أفعاله الخاطئة.

* مساعدة الطفل على وجود مخارج لانفعالات غضبه الداخلية بطرق مقبولة اجتماعية، بتوجيه انتباه الطفل الكثير الحركة إلى أى شىء آخر وبذلك يتجه تفكيره نحو اتجاه آخر.

* تجنب اختلاف وجهات النظر فى طرق معاملة الطفل سواء كان معوقا أو سليما بين الوالدين والحماية الزائدة أو الضغط على الطفل بطلبات تفوق قدراته.

* التعرف على طبيعة الطفل واكتشاف نواحى القوة والتأخر والانحراف.

* تقدير الملكية الشخصية للطفل.

* مساعدة الابن على التغلب على نفوره من الأطعمة غير المألوفة.

* مساعدة الطفل على التخلص من صراعاته الداخلية فى مراحل السن المختلفة ومساعدته على تنمية روح الحرية والاستقلال، والاعتماد على النفس.

* تعوده اللعب مع الأطفال الآخرين، ومصادقتهم لتخفف من صراعات الكراهية، والغيرة، والحسد، وتجنبه الانطواء.

* إشعار الطفل دائما بالحب والحنان والعطف.. فالحب الغذاء النفسى للأطفال بل هو قوام وجودهم ومعناه فى الحياة؛ لأن كل حرمان أو سوء تقدير أو تأجيل لحاجة الطفل لهذا الحب... فى مستهل طفولته هو جرم فى حقه يؤلمه ألما بالغا يبقى معه ويؤثر فى سلوكه، وفى بناء شخصيته، ومدى التكيف مع مطالب الحياة.

* توفير اللعب المختلفة التى تتناسب مع كل مرحلة سنية.

* تجنب القصص الخيالية غير المدروسة، لتجنب استمرار الأفكار الخيالية البعيدة عن الواقع.

* توفير المكان المتسع الذى يساعد على الحركة والنشاط.

* توفير النواحى الترفيهية والرحلات، والحفلات لتوسيع مداركه.

* تجنب الإكثار من النقد للطفل والسخرية منه.. وتجنب مقارنته بآخرين. لتجنب الغيرة، الأمر الذى يدفعه إلى الكراهية، والثورة، والعناد.

* لا يجوز أن يجاب الطفل لرغباته لمجرد صراخة وغضبه أو عناده، يجب أن نعوده على التفاهم، والمرونة، والأخذ والعطاء.

* ينبغى شغل أوقات فراغ الطفل بطريقة تبعده عن التخريب مع مراعاة قفل الأدراج التى لا نريده أن يعبث بها.

* ينبغى تجنب وضع كل اللعب تحت تصرف الطفل. تستبدل اللعب من وقت لآخر وبذلك تحتفظ اللعبة بتشوق الطفل إليها.

* التعاون مع دار الحضانة أو المدرسة... ليتيسر للطرفين أن يتفاهما ويتعاونا على اتخاذ أنسب الأساليب التى تتفق مع طبيعة هذا الطفل من حيث استعداده العقلى، ونموه الجسمى، وتكوين عاداته الخلقية.. وغير ذلك التى توفر له الصحة النفسية حاليا ومستقبلا.

تجنب تخصيص لكل طفل غرفة:

مساوئ تخصيص غرفة خاصة للطفل:

* تمثل ثغرة للهروب من وحدة الأسرة والمشاركة الوجدانية للأسرة.
* يشب طفلا أنانيا.
* يفقد روح الانتماء إلى الأسرة.
* يحرر نفسه مستقبلا من واجباته نحوها.
* تقلل من اختلاطه بأفراد الأسرة وإخوته.
* تبعده إلى حد ما عن الرقابة.
* تتيح له فرص التراخى فى التزامه بالمعايير الأخلاقية والسلوكية.

وأخيرا:

أرجو أن يكون هذا الفصل قد حقق الغرض المطلوب منه، وهو توضيح دور الأم فى حياة الطفل فى سنواته الأولى، وإعداده إعدادا صالحا للمراحل التالية، وتنشئته التنشئة التى تجعل منه فى المستقبل فردا ومواطنا صالحا، ينعم بالحياة فى المجتمع، كما يستمتع بخدمته والإسهام فى رقيه وتقدمه، فتسعد به الأسرة، ويفخر به الوطن.

الفصل الرابع

الأم.. وإحساس الطفل بالأمن والثقة بالنفس

إن كل طفل سوى فى مراحل العمر المختلفة، يسر ويبتهج بالثناء والتشجيع وبالشعور أنه مرغوب فيه.. وهو يزهو بقدرته على اكتساب مهارات جديدة وعلى استقلاله، وعلى عمل أشياء دون مساعدة من جانب الكبار.

ولذا: فإنه يحتاج إلى الحرية حتى يتمكن من اكتساب التجربة، ولكنها يجب أن تكون حرية فى حدود النظام والطاعة.

١ - الطفل... وحاجته إلى الثناء والتشجيع:

يبدأ الطفل فى سنواته الأولى فى تكرار الأفعال التى يضحك منها الكبار. ثم ينمو معه هذا الميل إلى جذب الانتباه واستدرار التشجيع.. مع مرور السنين وهو يلجأ فى ذلك إلى كل وسيلة ممكنة لجذب الانتباه.

فهذه التصرفات كلها تعبر عن حاجة الطفل إلى الحب، والثناء، والتشجيع، وهى حاجات طبيعية. ولا يجوز أن يخشى الآباء والأمهات إفساد طفلهم بالتشجيع والإطراء لمواهبه. بل لا بد لهم من الثناء على ما يفعله، وأن يستمعوا باهتمام إلى ما يفعله أو يرويه من كلام. فإذا لم يفعلوا ذلك، شعر الطفل بخيبة أمل، وكف عن الكلام.

٢ - وسائل تساعد على اكتساب الطفل الثقة بالنفس والشعور بالأمن:

أ - التشجيع ينمى قدرات الطفل فتزداد ثقته بنفسه:

يجد الطفل متعة عظيمة فى ممارسة الهوايات الجديدة:

فعندما يتعلم الطفل ذو السبعة أشهر الجلوس، نجده يميل إلى الجلوس طول الوقت ما دام مستيقظا. ويغضب إذا ألزمناه الاستلقاء.. وبعد مدة يجد متعة فى الوقوف مستندا إلى الأثاث وفى جذب نفسه إلى وضع الوقوف. وفى الحبو.. وفى السير مادا يديه أمامه.. وفى إطعام نفسه وفى ارتداء ملابسه وفى قضاء حاجته بنفسه.

وبعد ١٨ شهرا يجد متعة فى «المشاركة» فى الأعمال المنزلية، وفى أداء بعض الأعمال بيديه بعد أن يراقب أمه أثناء أدائها.

وكل ذلك يحتاج إلى التشجيع . وقد يحتاج إلى مساعدة الأم فى الأيام الأولى، ولكن ما إن يغدو الطفل قادرا على القيام بها دون مساعدة، فيكون من واجب الأم أن تتركه يفعل ما يستطيع.

ب- إتاحة الفرصة للطفل للاعتماد على نفسه يزيد من ثقته بنفسه:

عندما يقوم طفل ذو تسعة أشهر بإطعام نفسه بنفسه، فإنه يحدث فوضى مخيفة، ولكن عندما يبدى الرغبة فى ذلك (من ستة أشهر فصاعدا) فلا بد من إتاحة الفرصة أمامه.

فالطفل الذى تتاح له هذه الفرصة، يشرع فى إطعام نفسه دون مساعدة، مثل الأطفال الآخرين بزمن طويل، إذ تحرص أمهات الآخرين على إطعامهم بأنفسهم لتجنب ما يحدثون من فوضى.

ويجب تشجيع الطفل ابن العامين على خلع ملابسه بنفسه، وعلى ارتداء جواربه وحذائه، وسرواله أيضا. إن الأمر يتطلب ضعف الوقت فى عملية ارتداء الطفل ذى العامين ونصف عام أو الثلاثة الأعوام. فأمه تستطيع أن تتولى ذلك فى نصف الوقت. ولكن إذا أتيحت له الفرصة، تعود الاستقلال قبل أمثاله من الأطفال الذين لا تعطيهم أمهاتهم فرصة مماثلة.

وكذلك يتطلب إعداد المائدة أو طهو الطعام ضعف الوقت عندما يسمح للصغير بالمساعدة، فيها . ولكن هذه المساعدة تكسب الطفل إحساسا بالأهمية، وتعلمه أن يستخدم يديه. وتمنحه الثقة وتهيئه للمهام الأكبر فى المستقبل.

فالطفل إذا لم تتح له الفرصة لممارسة هذه المهارات عندما تكون جديدة عليه سيفقد اهتمامه بها، وسنجد أنه لا يريد أن يتناول طعامه بنفسه، أو يرتدى ملابسه بنفسه، أو يستقل فى شئونه، وبمعنى آخر سنرى أنه يرفض بذل الجهد.

٣- تجنب الغضب لهفوات الطفل:

إن التشجيع يفعل المعجزات، فى حين لا يؤدى الغضب والضيق وتثبيط الهمة إلا إلى الإضرار بالطفل نفسيا.

فإذا حدث مثلا أن سقط أحد الفناجين من يد الطفل عند إعداد المائدة، يكون من الأفضل تجنب الغضب لهذه الهفوة؛ لأن مثل هذا الغضب يؤدى إلى فقدانه الثقة بنفسه وقد تكون الحادثة قد وقعت رغما عنه.

* فيكون من الخطأ أن تمنعه من المساعدة فى المستقبل.

* ويكون من الخطأ إذا بالغنا فى القلق، وتصورنا أنه لن يتمكن من التحكم فيما يحاوله فسيؤدى ذلك إلى فقدانه الثقة بنفسه.

* كما أن النصح المستمر بالحذر والانتباه لا يجدى شيئا، فالطفل يتعود تجاهل هذه التحذيرات المستمرة.

* ومن الخطأ أن تُحمِّل الطفل شديد الحساسية مسئولية لا يكون قد تهيأ لها، إذ إن إخفاقه يؤدى إلى فقدانه الثقة بنفسه.

د- تشجيع الطفل على التفكير المستقل، وعلى اتخاذ المبادرات:

يعتبر من الوسائل الهامة التى تساعد الطفل فى تعليمه بالثقة بالنفس والاعتماد عليها. واكتساب الشعور بالأمن، إذا تركت الأم للطفل أن يتصرف فى بعض الأمور وتبقى على مسافة قريبة منه لكى تراقب إلى أى مدى يمكن أن يحل بعض المواقف الصعبة التى يتعرض لها. مثال ذلك:

إذا كانت لعبة موضوعة فى مكان عال، فنجد الطفل يحاول الوصول إليها عن طريق إحضار كرسى، والصعود فوقه للوصول إلى اللعبة التى يرغب فى الحصول عليها. وبذلك يساعد الطفل على اكتساب ثقته بنفسه إذا نجح فى تصرفاته.

٣- الوسائل التى تساعد على إضعاف ثقة الطفل بنفسه:

أ- الحماية المفرطة:

إذا لم تسمح الأم لطفلها بأن تنمو مداركه، وأن يتعلم الاستقلال، فإنها تفرض عليه ما يسمى «بالحماية المفرطة» وهذه ترجع إلى رغبة الأم (على غير وعى منها فى الغالب) فى إبقاء الطفل معتمدا عليها اعتمادا كاملا دائما.

مظاهر تصرفات الأم فى حمايتها المفرطة:

* هى التى تطعمه، وهى التى تلبسه ملابسه.

* هى التى تساعده على قضاء حاجته، وتنظيف جسده.

على حين يكون الطفل السوى قد تعلم منذ أمد طويل يقضى بنفسه فى هذه الجوانب كلها. وبذلك يبقى طفلا غير مستكمل النضج، غير قادر على الاندماج مع الأطفال الآخرين بسهولة، مرتبطا «بمريلة أمه ولكنه كثيرا ما يشعر بالغضب عليها لأنها لم تمنحه الاستقلال .

أشكال أخرى من مظاهر الحماية المفرطة:

تظهر الحماية المفرطة فى أشكال أخرى متعددة:

* قد لا تسمح الأم لطفلها بالخروج خوفا من أن تبتل قدماه، أو خوفا من البرد، أو من أن يلعب مع الأطفال الأشقياء أو من أن يكتسب لهجتهم وأسلوبهم، ولئلا يجرح نفسه فى لعبه معهم.

* تمنع الأم طفلها من اللعب فى المنزل على هواه، وتتدخل باستمرار «لمساعدته» فى لعبه. وهى تشجعه على استخدام كلمات الأطفال الصغار، بل تدلله كالصغار عندما يكون قد أصبح فى مرحلة لا تسمح بذلك.

* وكثيرا ما ترى أطفالا فى السادسة أو السابعة ما زلوا يعتمدون فى ارتداء ملابسهم على أمهاتهم؛ لأنه لم تمنح لهم أبدا الفرصة لأداء ذلك بأنفسهم.

أسباب الحماية المفرطة:

١- تظهر الحماية المفرطة من الوالدين نحو الطفل، وبخاصة عندما تكون الأم قد مرت بحياة غير سعيدة. فتبذل جهدها لتحصل من طفلها على أكبر قدر ممكن من الحب.

٢- تظهر الحماية المفرطة إذا كان والد الطفل قد مات، فتعوض العذاب النفسى من فراقه بالحماية الزائدة للطفل.

٣- إذا جاء الطفل بعد انتظار طويل أو بعد تكرار فقد أطفال.

٤- عدم توافر الهناءة الزوجية.

٥- إذا كان الطفل من جنس مطلوب، وكان مولده بعد كثير من أطفال الجنس الآخر.

مضار الحماية المفرطة:

١- اعتماد الطفل اعتمادا كليا على الأم، الأمر الذى يؤدى إلى ضعف ثقته بنفسه.

٢- عدم القدرة على الاتصال بالغير اتصالا منتجا.

٣- ظهور التمرد على هؤلاء الأطفال المبالغ فى حمايتهم بمجرد أن يستطيعوا الإفلات من البيت، ويكونون معرضين للحوادث أكثر من غيرهم.

٤- يفقد الطفل الاعتماد على نفسه، ويكون لذلك آثار سيئة عليه فى المستقبل.

ب- الإفراط فى النقد أو البحث عن الأخطاء:

يكون لذلك أثره البالغ فى إضعاف ثقة الطفل بنفسه. ويزيد الأمر صعوبة إذا كان هناك من الأقارب من يعيشون فى نفس البيت فيشاركون فى توبيخه وتأنيبه والسخرية منه. الأمر الذى يؤدى إلى الإحساس بالاكتئاب، والاضطراب النفسى الذى يؤدى إلى أعراض نفسية وصحية متعددة. وهناك كثير من الأطفال المضطربين نفسيا نتيجة التعنيف المستمر من المحيطين بهم.

ج- السخرية من أخطاء الطفل أو مخاوفه أو خجله:

- لا يجوز أبدا أن نسخر من أخطاء الطفل أو مخاوفه أو خجله.
- كما لا يجوز أن تُناقش عيوب الطفل أمامه، ولا سيما فى وجود أشخاص غرباء. إن مخاوف الطفل تعد فى نظره واقعية تماما، ومن الخطأ أن نسخر منه.
- كما لا يجوز أن يقال شيء عن خجله أو عيوب نطقه أو تخلفه العقلى أو تصرفاته فى وجود الطفل.
- كما لا يجوز أن يقال أنه ضعيف أو مرهف التكوين.

فقد ثبت من البحوث أن لمثل هذه الملاحظات أثرها البالغ فى الطفل، ولا يترتب عليها غير الضرر النفسى.

د- إطلاق الكبار على الطفل أوصافا تفقده ثقته بنفسه:

من الأسباب الهامة لفقد الطفل ثقتــه بنفسه، ما يطلقه الكبار عليه من أوصاف. فكثيــرا ما يصف الآباء والأقارب أحد الأطفــال بأنه: «الخائب فى استــخدام يديه»، أو «الطفل الشقى»، أو «الطفل العنيد»، فــهذه الأوصاف تفقد الطفل ثقته بنفــسه، وتفقده الشعور بالأمن.

وأخيرا:

مما سبق نرى أن الثــقة بالنفس والشعــور بالأمن والاعتمــاد على النفس من أهم الأسس الحيوية لإشــباع الحاجات النفسيــة للطفل فى مراحل العمر المختلفــة فإن إشباع حاجاته النفســية فى هذا الجانب تساعد على خلق شخــصيات ناضجة مستــقبلا، قادرة على تحمل المسئولية وعدم الاعتماد على الآخرين.

إن قوة الخلق، والشــخصيــة، والشجاعــة، والعزم، والأمانة، والاتزان، والثــقة بالنفس، والرغبة فى أن يكون الإنسان خيرا... إنما نبــعت كلها من شعوره فى طفولته بدفء الجو الذى يــعيش فيــه، ومن خبــرته بأنه موضع الحب والثــقة والاحــترام، وأن جهوده تلقى من المساندة والتشجيع، ثم فى الثناء والتقدير ما يستحق.

وما أكثر ما يعرض للأسرة من فرص لتنمية هذه الفضائل فى صغارها كل يوم.

الفصل الخامس

الأمهات .... أنواع

الأمومة أسمى المشاعر الإنسانية عند المرأة، وهى ينبوع الحنان والعطاء. ورغم أن الأمومة مسئولية وجهد إلا أن الأم الحقيقية بحكمتها وصبرها تستطيع أن تواجه كل صعاب الحياة، بل وتتخطاها بصدر رحب.. وذلك بالعطاء من جهدها وشبابها وصحتها وأخلاقها.

ومع ذلك : فكل أم لها طريقتها وأسلوبها فى تربيته أبنائها، وكل أم حريصة على مصلحة أولادها، وتسهر على رعايتهم، وتبذل كل ما تملكه من اهتمام ورعاية فى سبيل سعادتهم.

ولكن مجرد الحرص على مصلحة الأولاد والسهر على رعايتهم، وتبذل الجهد فى سبيل سعادتهم ليس هو طريق السعادة دائما...

فقد تقوم بكل ذلك، ومع هذا فلا تستطيع أن تبلغ الغاية التى تنشدها ولا أن تحقق الهدف الذى تريده.

وذلك: لأن الهدف شىء، وطريقة الوصول إليه شىء آخر...

النوايا هى أطيب النوايا... ولكن الطريق لتحقيق هذه الأهداف والنوايا يختلف باختلاف الأمهات.. والأمهات من هذه الناحية أنواع مختلفة وأشكال متباينة.. فعلى كل أم أن تعرف مكانها وتحدد موقفها بين أنواعها حتى تستطيع أن تؤدى رسالتها على الطريق الأكمل، وتبلغ بأولادها حدود الآمال التى رسمتها لهم... وعليها أن تكافح وتحاول التخلص من السلبيات التى تعوق وصول أبنائها إلى التنشئة السليمة.. من خلال التعرف على الصفات والأسلوب السوى الذى يساعد على تحقيق الصحة الجسمية والنفسية والعاطفية والاجتماعية للأبناء.

وفيما يلى سوف أوضح الأنواع المختلفة للأمهات...

١- الأم المتفانية

مما لاشك فيه أن الأم مسئولة إلى حد كبير عن تكوين شخصية ابنها وأخلاقه، فهى أكثر الناس التصاقا بصغيرها؛ ولذلك فإن الطفل الصغير يعتمد على أمه اعتمادا يكاد يكون كليا، فهى دائما ملاذه الذى يلجأ إليه فى حل مشاكله، والخروج من المآزق التى يتعرض لها.. ولهذا فإن الروابط تبلغ أقصى قوتها بين الأم وابنها، حتى أن هذا الابن فى سن معينة يشعر بالغيرة عليها من والده ، ولكن هذا الموقف سرعان ما يزول ليتحول إلى علاقات مع الآخرين خارج الأسرة.

وفى ظل هذه العلاقات يستطيع الابن الذى بلغ سن الشباب أن يختار رفيقة حياته... وإذا سارت الأمور على هذا النحو قلنا أن الطفل قد تطور طبيعيا وأصبح شابا سويا.. ولكن الأمور لا تسير فى هذا الطريق دائما ففى بعض الأحيان يكون تأثير الأم على ابنها شديدا مما يفسد تطوره العاطفى، ويصبح الابن معتمدا على أمه كل الاعتماد لا يكاد يتصرف أو يتخذ أى قرار دون مشورتها.

وهذه هذ الحالة التى يعرفها علماء النفس باسم «**عقدة الأم**».

من نتائج هذه العقدة:

لا يستطيع الشاب أن يفصل حياة «العزوبية» لأنه لم يلتق بالمرأة التى لها صفات أمه.. إما إذا وجد الفتاة التى تشبه أمه فقد يجد فى الاندماج العاطفى والاتصال الجنسى بها مصاعب كثيرة... فقد يرى فى هذه الأمور خيانة لأمه واعتداء عليها.

مما سبق تتضح الآثار المدمرة للأم المتفانية.

فى بعض الأحيان تعانى الأم من شقاء، حياتها الزوجية فتنصرف بكل كيانها إلى طفلها، تغدق عليه حنانها، وتحيطه بكل أنواع الحب والرعاية والتدليل؛ لأنها تجد فى هذا بعض التعويض.. وهكذا يزداد تعلق الأم بابنها وتعظم سيطرتها عليه مما يفسد نموه النفسى ويصيب حياته العاطفية بأكبر الأضرار..

دور الأم المتفانية لتحقيق السعادة لأبنائها:

على الأم أن تكون واعية لدوافع سلوكها حتى لا تنساق وراء محركات خفية تؤذى أولادها. ومن القواعد الهامة التى ينبغى على الأم أن تتبعها:

- تشجع ابنها على الاختلاط بالآخرين ويتجنب الوحدة.

- تترك بين الحين والآخر مسألة الإشراف عليه لغيرها حتى يتعود الاختلاط والتعامل مع الآخرين.

- تبذل كل ما تستطيع من جهد فى سبيل الثقة بنفسه والاعتماد عليها.

- توجه إليه دائما الإرشاد والتوجيه الذى يساعده على الاعتماد على نفسه، وتجنب الاعتماد على آخرين فى تدبير شئونه.

وأخيرا:

فإن الأم التى تجعل من هذه القواعد أسلوبا لها فى تربية أبنائها، سوف تجنى ثمرة ذلك؛ استقرارا له فى حياته المستقبلية واعترافا بما قدمته من جميل.. الأمر الذى سوف يحقق لها السعادة، والراحة النفسية، والرضى عن نفسها لتحقيق الأهداف التى ضحت وجاهدت لتحقيقها لإحساس الأبناء بالاستقلال والاعتماد على النفس.. الأمر الذى يساعدهم على الحياة المستقبلية السعيدة.

٢-الأم الهوائية:

وهى فى الواقع من أخطر أنواع الأمهات؛ لأن أهم صفاتها هو التقلب والانتقال من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.. فبينما هى هادئة صافية حينا، إذ بها صاخبة عاصفة حينا آخر.. والطفل المسكين حائر إزاء تصرفاتها، لا يدرى كيف يكون سلوكه معها، لأنه فقد الميزان الذى يستطيع أن يقيس به ردود أفعالها، فهو لا يدرى على وجه اليقين ما الذى يرضيها، وما الذى يبعث فى نفسها الهدوء وما الذى يثيرها.

صفات الأم الهوائية:

من أبرز صفاتها:

* أنها خيالية بعض الشىء.

* ولا تلتزم بالنظام فى شئون بيتها، وتصرفاتها مع أولادها تتم دائما عن عصبية واضحة.

* لا تستقر على رأى معين: أحيانا نراها شديدة الاهتمام بأولادها، تحرض على نظافتهم، وعلى أن يؤدوا واجباتهم المدرسية فى مواعيدها، وفجأة ينقلب

الاهتمام إلى إهـمال يكاد يكون كاملا. . لا حرص علـى نظافة، ولا سؤال عن واجب مـدرسى، والصـراخ هو أسـلوبهـا فى الحـديث، والضـرب هو طريقتها فى التوجيه .

تأثير الأم الهوائية على أولادها:

على الرغم من أن هذه السيـدة تحب أولادها، وترغب فى الخيـر لهم، إلا أن بأسلوبها فى معاملتهم أنها تجعل منهم:

* أفرادا غيـر مستقـرين، لا يستطيعون أن يثبتوا على رأي، أو يقطعـوا بوجهة نظر.

* هم دائما من الطراز المتـردد الذى لا يستطيع أن يميـز بين الحق من الباطل ولا الخير من الشر، ولا الصواب من الخطأ.

واجب الأم الهوائية:

واجب الأم التى تعرف أنها من هذا النوع أن تراجع مـوقفها فى هدوء. . ولا بد أن تأخذ نفسها بالحزم حتى تستطيع أن تغـير أسلوب حياتها. . . عليها أن تفكر فى كل معاييرها المستقرة ونظرتها المتقاربة، حتى لا تصيب أولادها بالحيرة ولا تعرضهم للبلبلة، والصراع، والاضطراب النفسى، والتشتت فى التفكير والفعل.

٣- الأم اللامبالية:

ولا شك أنهـا هى الأخـرى أكثـر الأمـهات خطـرا على أولادها، لم تكن هى بالفعـل أكثرهن خطرا، ومـوقف اللامبـالاة وعدم الاهتـمام وترك الحبل عـلى الغارب للأبناء له أسباب كثيرة منها:

* معاناة الأم أثناء طفولتـها بالقسوة والخشونة من أبويها، وتعرضـها للكثير من ألوان العقـاب بسبب وبدون سبب؛ ولهذا تـلجأ الأم إلى أن تكون معاملتـها لأولادها كمثل المعاملة التى لاقتها من أبويها.

دور الأم اللامبالية نحو أبنائها:

* لا تلجأ إلى أسلوب العقاب لأبنائها إطلاقا.

* تتجنب الخشونة والقسوة فى معاملتهم.

* لا تترك لأبنائها حرية كاملة يتصرفون من خـلالها كيفما يشاءون. فالمراهق أو الشاب الذى لم يبلغ درجة كافية من النضج لن يستطيع أن يتحكم فى أهوائه وعواطفه، ربما تورط فى أخطاء لا يسهل إصلاحها فيما بعد .

* تجنب ترك الأبناء يتخبطون فى ظلمات الفوضى دون شعاع يهديهم فهو أخطر ما يمكن أن تفعله أم بأبنائها.

فالأبناء مهما أبدو من سعادة بالحـرية التى يمنحها لهم الآباء والأمهات فإنهم فى أعماقهم يحسون بحاجة ملحة إلى من يوجههم، ويحسن تبصيرهم بعواقب الأمور.

* ينبغى أن تكون الأم الشعـاع الذى يهدى الأبناء إلى الطريق والسلوك السليم، وتجنب الأخطاء.

* ينبغى أن تجـعل الأم من وقتها سـاعة أو بعض الساعـة تتفرغ فيـها لأولادها فتتحدث إليهم ويتحدثون إليها، لتسمع منهم ويسمعون منها.

* ينبغى على الأم ألا تحرم أبناءها من توجياتها البناءة، وتـشعرهم باهتمامها.. لأن إحساسهم بعدم مبالاتها سوف يحطم نفوسهم... لذلك ينبغى أن تكون دائما الأم الراعية.. الأم الموجهة.. الأم المرشدة...

٤ - الأم الصارمة:

وعلى نقيض الأم اللامبالية توجد الأم الصارمة، التى يكسو العبوس وجها معظم الوقت، إن لم يكن الوقت كله، فماذا يكون صدى مثل هذه الأم على حياة أبنائها.

تأثير الأم الصارمة على أبنائها:

* ستكون العلاقات المميزة لأبناء هذه الأم:

الانطواء على النفس، الخوف من الناس، وعدم الثقة بالنفس ، والتمرد.

* من أعراض الاضطراب النفسى والعقلى : مثل التبول اللا إرداى، والتعثر فى الكلام ، والتـشـرد ، والعدوانيـة ، والعنف ، والعناد ، وعـدم الطاعـة ، والهروب ، والتأخر الدراسى أو الفشل الدراسى .

* أعراض أمراض عقلية : كالفصام، والاكتئاب ، ولوثة الهوس.

أسباب تأثير الأم الصارمة على أبنائها:

* لا تسمع لرأى يبدونه، ولا تستجيب لصرخة شكوى أو همسة رجاء تصدر عنهم، وبهذا يشعر الابن أو الابنه بروح الهزيمة تملأ نفوسهم، وتنفذ إلى أعماقهم، وربما استمر معهم هذا الإحساس طوال حياتهم، فيكون أسلوبهم هو التنازل وعدم القدرة على مواجهة مشاكلهم مستقبلا.

واجب الأم الصارمة نحو أبنائها:

* على الأم أن تعيد النظر فى الطريقة التى تلجأ إليها فى تربية أبنائها.

* عليها أن تتخلى عن أسلوبها الجاف والقاسى فى المعاملة.

* عليها أن تشعر طفلها فى كل الحالات بأنها تحبه، وستظل تحبه حتى وإن تعرضت بعض أعماله للنقد أو تعرض للعقاب.. فإنها تحبه.

فالحب والحنان والعطف والرعاية والرقة... كل هذه الأشياء هى الغذاء النفسى للطفل، والذى تتغذى عليه شخصيته، والتى يلمسها الصغير عند أقرب الناس إليه وأشدهم التصاقا به وهى أمه.

لذلك: إذا افتقد الطفل الحنان والحب والعطف، فإننا نتوقع أن يصاب بأى مرض نفسى، أو جسمى، أو عقلى ... لذلك فعلاج هذه الاضطرابات هو حب الأم.

٥- الأم القلقة:

هى الأم التى تشعر دائما بالخوف والقلق.. وخوفها فى معظم الحالات قائم على غير أساس.. أنه خوف وهمى ... وأحيانا تكون مخاوف مرضية تجعله يسلك سلوكا غير معقول، وغير مستساغ اجتماعيا.

- تحس بالضيق والتبرم مما يؤدى بها إلى سلوك غير سوى.

سلوك الأم القلقة:

* خوفها الشديد من منظر الفأر أو الصرصار.

* خوفها الشديد من الظلام أو هلعها إذا وجدت نفسها فى غرفة مغلقة.

* خوفها الشديد من الإصابة بالأمراض، واستمرار تنظيفها ليدها إلى أن تمرض وينزف منها الدم.

تأثير الأم القلقة على أبنائها:

* سوف تنقل هذا القلق والخوف إلى كل من حولها وعلى رأسهم أبناؤها وبناتها.
* ستسلبهم الإحساس بالطمأنينة والراحة.
* تدفعهم إلى عدم الثقة بالنفس، وعدم القدرة على اتخاذ القرار.
* التأخر أو الفشل الدراسي.
* يصاب الأبناء بأمراض نفسيه، نتيجة البث فيهم بمخاوفها المرضية.

واجب الأم نحو نفسها للتخلص من القلق والمخاوف:

* تحاول أن تتخلص من القلق وأعراضه، لتجنب إصابة أبنائها بالاضطراب النفسى .
* إذا لم تستطع التخلص من هذه الأعراض.. ينبغى أن تعرض نفسها على الطبيب النفسى لعلاجها.. وتجنب إصابة أبنائها بالأمراض النفسية.

٦- الأم المثقفة:

من الطبيعى أن الأم المثقفة تبث ثقافتها بطريق مباشر أو غير مباشر فى أبنائها.. وإذا كانت تهتم بالكتب، ومصادر المعرفة، فإنها تحبب إذن المعرفة ومصادرها ووسائلها لأطفالها، فينشأون على حب المعرفة والتشوق إلى آفاقها.

وطريقة حديث الأم، وما تستخدمه من مفردات لغوية ينتقل بالتالى إلى الطفل فيجب ألا تنسى ما يمكن أن تطعم به الأم أطفالها من مثل عليا فى الحياة، وما يمكن أن تنقله إليهم من قيم، ومن اتجاهات أخلاقية وأساليب سلوكية متنوعة.

وأخيرا:

بعد هذه الجولة: ما هو نوع الأم التى ينبغى أن تحرصى على تحقيقه. يقول علماء التربيـة والطب النفسى : لا بأس أن تكونى أما حـازمة تحسن التـوجيه والقـيادة ولكن الحزم ليس معناه القسوة، وليس معناه التجهم.

لا تنسى أن تكون الابتـسامـة هى الإطار الذى يشع منه الحب على جـو الأسرة والأولاد، ولا تنسى أيضا الفـهم. . إن للأطفال عالمهم الخاص الذى يخـتلف عن عالم الكبار. وأنت إذ رجعت إلى ماضيك أيام الطفـولة، وإذا قرأت بعض الكتب عن نفسية الطفل وطريقة نموه، فـلا بد أن التسامح سـيكون هو أسلوبك المفضل فى التـعامل مع صغارك. . إن الاعتـدال فى كل شىء هو خير صفة ينبـغى أن تتصف بها الأم الحنونة، العطوفة، الحكيمة.

ولذلك : فعلى كل أم أن تكون لها وقـفة شجاعة مع نفسهـا، وأن تتعرف على مكانهـا من هذه الأنواع من الأمهـات. فإذا كانت واحـدة منهن، فلا تتـردد لحظة فى محـاولة التعبيـر. لسعادة أبنائها. وهـى لا شك حريصة عليهـا مستعـدة لأن تبذل فى سبيلها كل جهـد، حتى لو كان ذلك يؤدى إلى تغيير طباعهـا، وتبديل عاداتها لمصلحة وسعادة أبنائها، حاليا ومستقبلا.

الفصل السادس

الأب.. والصحة النفسية للطفل

إن للاب فى الأسرة وتنشئة الأطفال دورا لا يقل أهمية عن دور الأم.. ولذلك يخطئ الأب كثيرا إذا شغلته متاعب الحياة عن أسرته، وقضى معظم وقته بعيدا عنها، تاركا الأمر للأم وحدها؛ لذلك أن دوره يختلف عن دورها إلى حد ما، ولا تستطيع هى أن تعوض أبناءها النقص الذى ينشأ عن تغيبه عنهم أو عدم العناية بالإشراف عليهم ومصاحبتهم.

ويمكننا أن نلخص فيما يلى مقومات الأبوة الحكيمة فى توفير الصحة النفسية للأبناء.

١- عليه أن يشعر الصغير بحبه له، وعنايته به منذ وقت مبكر من حياته:

حقا إننا نعلم أن مسئولياته الاجتماعية ووظيفته فى المجتمع تجعل مركزه غير سهل كمركز الأم فى كسب مودته وإشعاره بالحنان والحب، ولكن ذلك لا يمنعه من أن يحاول الاقتراب من ابنه منذ السنين الأولى من حياته.. كما عليه أن يستغل نمو الصغير حين يبدأ المشى واستخدام اللغة فى تدعيم العلاقة معه عن طريق المداعبة، والمصاحبة، إذ يصبح فى إمكانه فى هذه السن تكوين صداقات وعلاقات اجتماعية بها روح الود والمحبة... ولا ترتكن على قضاء حاجاته الفسيولوجية كما فى السنة الأولى.

مثل هذه المعاملة من جانب الأب تساعد على :

١- **اطراد نمو الطفل**، وشعوره بالأمن والرضا الناتج عن تمتعه بمحبة والديه. كما تساعد على تكامل شخصيته هو واستقراره النفسى كأب.

٢- تستمر علاقة الصغير بوالده كلما تقدم به العمر حتى يصبح الأب **ومصاحبته من الأمور البالغة الأهمية للطفل حتى سن العاشرة.** فهو مثله الأعلى وموضع ثقته. وليس أدل على ذلك نتائج الإيجاب التى سئلت فيها مجموعة من الأطفال بين سن

الخامسة والسابعة عشرة عن شخصية يعجب بها، ويتخذ منها مثلا أعلى فى الحياة، فكان جواب أغلبية الصغار بين سن الخامسة والعاشرة هو أن الشخصية التى يعجبون بها، ويريدون تتبع خطاها هى الأب. بينما ذكر أغلبية مراهقى السابعة عشرة أسماء أشخاص آخرين غير آبائهم ليس من الضرورى أن يكونوا فى البيئة المحلية.

٢- عليه أن يهيئ نفسه للأبوه وتضحيات الأبوة:

بأن يحاول أن يشترك مع الأم كلما سنحت له الظروف بمساعدتها فى رعاية أطفالها والعناية بحاجاتهم اليومية، ولهذا الاتجاه الأبوى أهمية كبيرة وخصوصا فى حالة الطفل الأول؛ لأن هذا التعاون فى الأسرة المتافهمة السعيدة محبب إلى النفس. كما أنه تدريب جميل على مسئوليات الأبوة، وتمرين على تغيير عاداته اليومية، فهو فى هذه الحالة لا ينتظر من زوجته أن تعطيه كل عنايتها ووقتها، ولا ينتظر من أسرته السهر على خدمته دائما، بل يجد نفسه مساقا إلى أن يسخر نفسه لخدمة أطفاله.

٣- عليه أن يقضى مع أبنائه بعض الوقت يوميا:

وذلك كى يشعرهم بأنه على اتصال دائم بهم. وذلك بعد أن ثبت أن استمرار العناية واتصال الود، من الأمور المهمة الباعثة على استقرار الأطفال وأمنهم النفسى. وعليه أن يفكر فى أن يشغل هذا الوقت بطريقة ممتعة ومحببة لهم، وعاملة على تدعيم علاقته بهم. فيظهر اهتمامه بهواية خاصة يميل إليها أحد أبنائه، وينصت إلى الآخر وهو يقص عليه مغامراته اليومية، ويبدى إعجابه بحركة أو كلمة نطق بها ثالث من أطفاله وهكذا يمكنه فى هذه المدة القصيرة نسبيا أن ينزل إلى مستوى أبنائه، ويتمتع معهم بوقت طيب لا ينسونه ولا ينساه.

٤- عليه أن يعمل على أن يسود جو الأسرة الوفاق والهدوء:

ويتحقق ذلك بأن تكون علاقته بالأم علاقة طيبة؛ ولذلك كانت مهمة اختيار شريكة الحياة من المهام الخطيرة. على أنه مهما كان الأمر فعليه أن يتحكم فى غضبه، ويقلل من إظهار هذا الانفعال أمام أبنائه، وأن يتغاضى بقدر الإمكان عن أخطاء زوجته وأبنائه التافهة إن وجدت وأن يعمل : موجها، ومرشدا لهم، فينبههم إلى ما يراه من أخطاء بطريقة لطيفة بعيدة عن الأمر والنهى، حتى لا يثير مقاومتهم ورغبتهم فى التمرد على سلطته.

وعليه أن يعمل بقدر الإمكان على أن يتفق مع زوجته على طريقة متسقة فى معاملتهما لأبنائهما؛ لأنه ليس أخطر على تنشئة الصغار من اختلاف الأبوين فى طريقة المعاملة ،وكثيرا ما يؤدى هذا الاختلاف إلى انحراف الصغار وصعوبة تكيفهم للوسط الذى يعيشون فيه.

٥- عليه تعليم أبنائه الذكور أنماط السلوك الاجتماعى المميز لجنسهم من أفراد المجتمع:

ويكون قدوة لهم فى التصرف والسلوك، والمثل الصالح الذى يضربه لأبنائه فيقلدونه دون عناء. وبطريقة شعورية أحيانا ولاشعورية أحيانا أخرى . وعليه أن يهيئ لهم مواقف حقيقية تتيح له ممارسة هذه الفضائل والعادات ممارسة فعلية على مستوى بسيط حتى تصبح عادة مستأصلة فى نفسه.

٦- على الأب أن يعمل على كسب ثقة أبنائه وبناته ومودتهم:

لدرجة أن يتخذوا منه صديقا حكيما يلجأون إليه كلما أعيتهم الحيل فى حل مشكلة من مشكلات الحياة التى كثيرا ما تصادفهم فى هذه السن، ويسرون إليه بأسرارهم، ويتمتعون بذلك الشعور الجميل الذى يتميز بالراحة النفسية، والاطمئنان الذى يشعر به المرء إذا كان له شخص قوى موثوق فيه يأتمنه على أسراره .

ويمكن القول، مع الأسف، أن معظم الآباء والأمهات فى مصر لايهتمون بصداقة أبنائهم، وبناتهم، وتشجيعهم على الالتجاء إليهم وقت الحيرة والقلق، واستدل على ذلك من بحث أجرى على مجموعة كبيرة من الفتيات . إذ اتفقت الأغلبية العظمى منهن أنهن يلجأن إلى أمهاتهن لا آبائهن بأى سر من أسرارهن، وذكر البعض أنهن لم يعودن على ذلك.

٧- عليه مشاركة الأم فى تنشئة الأبناء:

على الأب أن يشارك الأم، سواء كانت تعمل فى الخارج أو لا تعمل، فى أعباء المنزل ورعاية الأبناء، ففى ذلك مصلحة صحية له ولهم جميعا.

فرعاية الأبناء تضيف إلى حياة الكبار إشراقا لا سبيل لهم إلى اختياره عن غير هذا الطريق. يضاف إلى ذلك، فإن إشراك الأب فى أعباء المنزل ورعاية الأبناء هو التجسيد العملى للرعاية بمفهوم المساواة، والمشاركة، والتعاون فى العلاقة بينه وبين زوجته.

وهو أيضا الوسـلة الوحيدة لخلق المنـاخ الصحى والسليم فى العلاقـة بين أفراد الأسرة جميعا. وفى مثل هذا المناخ سـوف يكون للأب دوره المؤثر والفعال فى مساعدة أبنائه على تحـقيق أهداف التنشـئة السليـمة وهى تنمـية مـا لديهم من إمكانيات ذهـنية ووجدانية إلى أقصى غاياتها، وتهيئة الفرص الملائمة لاختبار وجودهم كعامل محفز لهم للسيـر فى طريق التقدم، والارتقـاء دون محاولة صب شـخصياتـهم فى القوالب التى يريدها الكبار لهم، وفى سبيل تحقيق ذلك يستطيع الأب أن يساهم بالكثير .

٨- على الأب توفير السعادة للأم:

ينبغى على الأب أن يتـيح للأم فرصة تحقـيق الصحة والسعـادة وراحة البال، لا وفاء بحقها فحسب، ولكن تلبية لالتزامه الأول إزاء أبنائه أيضا، ذلك أن الطفل مخلوق شديـد الحسـاسية لـكل ما يجـرى حوله بوجـه عام، وللعـلاقة بين والديه علـى وجه الخصوص، فإذا لمس من هذه العلاقة الحب والتعاون، غمره الشعور بالرضا عن الحياة، والاطمئنان إليـها، والإقبال عليـها، وكان هذا الشعور تمـهيدا مساندا، ومـعينا له حين يكون عليه أن يمارس الحياة فيما بعد.

كمـا أنه يقوم بدور الـسند المعنوى لزوجتـه، لا لأن ذلك يبعث فـيهـا الإشراق ويدفعـها إلى الاقبال، ويطلـق طاقاتها إلى جهـد مؤثر وبناء فحـسب، لكن أيضا لأن عملية التنشئة مهما يكون مقدار الحرية التى تتاح فيها للصغير لابد أن تنطوى على بعض القيود بالنسبة لرغباته.

ومن أهم أصول التنشئة أن يشعر الصغار بأن الأب والأم لهما رأى واحد فى هذا الاتجاه، لأن إدراكـهم وجود اختـلاف بين والديهم خليق بأن يصيـبهم بالحـيرة والقلق والانزعاج أو قـد يحفزهم ذلك على محـاولة الانحياز لأحدهمـا دون الآخر، واللعب على اختلافـهما لتحقـيق رغباتهم، وبراعة الأطفال فى هذا المجـال تفوق أى تصور أو توقع الكبار.

٩- على الأب خلق المناخ الصحى الملائم بالأسرة:

ينبـغى على الأب أن يجعل من وجـوده فى حيـاة الأسـرة سبـيلا لكى يتـعرف الصغار على مـا له من صفات إيجابية تعينهم على التـعرف عليها والتوحد معها على

تكوين شخصياتهم ونضجها وليس معنى هذا أن يحاول الأب فرض صفاته وشخصيته على الصغار بأى حال . ولكن معناه أن يعمل الأب على خلق المناخ الصحى الملائم بالأسرة؛ لأن هذا المناخ خلفية لا بد منها ليكون وجوده فى الأسرة عامل إثراء لشخصية الأطفال.

وفى هذا المجال، فإن الأبناء يكونون مثلهم العليا، ولو بصورة جزئية على الأقل، مما يرونه فى الأب، فالأب الذى له وجود واضح وسليم فى حياة أسرته، يمكنه أن يمنع عن أبنائه الكثير من معوقات النمو وانحرافاته.

١٠- على الأب أن يقف من الطفل موقفا فيه الحزم أحيانا:

وكذلك فيه قدر من الحد من نشاطه، ومنه الإجابة لرغباته؛ لأن الأب مهما كان فى رقته وهدوئه يمثل بالنسبة للصغير السلطة، والصغير يحتاج نفسيا إلى وجود السلطة فى حياته، لأنها هى التى تساعده على تمثل القيم والمفاهيم السائدة فى المجتمع الذى يعيش فيه، وهى التى تكفه عن الانطلاق وراء نزواته الطفولية، وأهوائها، وتساعده على الاستقرار النفسى اللازم لعملية التكيف الاجتماعي.

١١- على الأب أن يكون مصدرا للحنان:

إن مهمة الأب كمركز للسلطة لا يتنافى مع مهمته كمصدر للحنان، فحنان الأب لازم لصحة الطفل النفسية لزوم حنان الأم. فإظهار الحنان للصغار وبخاصة الصبيان، لا يتعارض مع رجولة الكبار، ولا يتعارض مع النمو بل على العكس هو الصحيح. . . إن الصبى الذى يلقى الحنان صغيرا يلقى مع الحنان الإشباع لحاجة نفسية ملحة، هى حاجته إلى أن يشعر أنه مقبول ومحبوب.

وإذا لقيت هذه الحاجة الإشباع فسوف يشب وهو لا يطيق أن يرى الحرمان يعانى منه الغير، وسيعمل جاهدا على مكافحة هذا الحرمان، سيشب على وجدان اجتماعى يتلخص فى صفة الشهامة، والشهامة من أهم صفات الرجولة.

ولو صبر كل أب على صغيره قليلا، وأعطاه من وقته بعض الوقت لتحاشى كثيرا من عوامل القلق والهم والخطيئة والعدوان التى كثيرا ما تفتك بالنفوس الصغيرة.

إن الطفل يحتاج إلى هذه اللفتات من أبيه، ويستجيب لها. وليس أقل فى إدخال الطمأنينة على نفس الطفل، وفى تقويم سلوكه، من أن يشعر أن أباه يقوم بدوره كأب

يرعى مصلحته، ويرقب أخطاءه، ويرده عنها فى أسلوب يجمع بين الحزم والعطف معا. ولا يضن عليه بالثناء إذا أصاب، ويعامله بنزاهة انفعالية تجعله دائما وفى جميع الأحيان جديرا بالثقة وأهلا بالاعتماد.

١٢- على الأب تحويل أنانية الطفل إلى حب الغير:

الطفل فى البواكير الأولى من حياته كائن أنانى لا يعرف إلا نفسه، ولا يحيا إلا لها. والأبوة الرشيدة الناجحة هى التى تعمل فى دأب ومثابرة، على تحويل قدر من الأنانية إلى حب الغير. حتى إذا أدرك مرحلة المراهقة، كان مستطيعا عن طريق ما أتيح له من فرص الإعطاء والمشاركة وعن طريق المناقشة الودية فى بعض الأحيان، ثم عن طريق المثال الذى يراه من والديه، فليس فى الواقع أفضل من هذا المثال فى نفوس الصغار، كان مستطيعا أن يقدم لنفسه معيارا للقيم الخلقية، فيكون حب الصغير ورعاية حقوقهم من مقوماته الأساسية.

١٣- على الأب تشجيع أبنائه وتقديرهم:

إن الأبناء فى حاجة إلى أن يلقوا التشجيع، ويطمئنوا إلى الموافقة والقبول من أبيهم كى ينعموا بحياة فيها الشجاعة والتعاون.

إن شعور الطفل بتقدير أبيه لما يفعل خليق بأن ينبه فيه خير ما عنده، ويبعث لديه الحماس للقيام بخير ما يستطيع، فكلمة التشجيع يحظى بها من أبيه متى أعطيت له فى حينها، هى الحجر الأساسى فى تكوين الثقة بالنفس، وهى صفة لا بد منها لإمكان التقدم فيما بعد.

إن قدرات الطفل تنمو على التشجيع، وتضمر باللوم والتثبيط، وشعوره بأنه يلقى الثقة والتقدير والاحترام من أبيه خليق بأن ينمى فى نفسه صفات الشجاعة والعزم والاتزان وهى دائما من مقومات الشخصية الخلاقة.

١٤- على الأب تجنب النقد اللاذع، والتفرقة بين أبنائه:

الأب مسئول على أن يسود حياة الأسرة جو المودة والحب والاحترام، وأن ينفض عنها النقد اللاذع إذا كان مركزا على فرد بعينه لأى سبب من الأسباب، فإن الجو المشبع بالاحترام ينتقل إلى الأطفال ويعلمهم كيف يحترم بعضهم بعضا.

وكذلك : على الأب أن يتجنب، ثم يتصدى لأى بادرة تفرقة بين الولد والبنت فإن هذا التحيز هو البذرة الأولى التى ينبت منها وتتفرع عنها كل انحرافات العلاقة بين الجنسين فيما بعد.

فالأب الذى يضع نصب عينيه أن ينشئ ابنه على احترام الغير وحقوقهم ومعتقداتهم ومساهمتهم، إنما يساعده على أن يطل على الحياة من أفق واسع، وعلى أن ينظر إلى مسائلها ومشاكلها بنظرة موضوعية متحررة من آثار التحيز والهوى .

١٥- على الأب ضرورة عدم نقل هموم العمل إلى المنزل:

من الخير أن يذكر الأب دائما أنه لا بد من الفصل بين العمل والمنزل فصلا تاما بقدر الإمكان. . ومعنى هذا الفصل ألا ينقل هموم العمل ومتاعبه معه إلى البيت.

إن البيت مكان يختلف كل الاختلاف عن العمل. . وجو البيت من أجل ذلك ينبغى أن يختلف كل الاختلاف أيضا عن جو العمل. لأن الصغار لا يستطيعون فهم هموم العمل ومتاعبه، وبالتالى لا يستطيعون المساعدة فيها، ومن ثم فإن ترك هموم العمل حيث هى أمر حتمى إذا شاء الأب أن ينهض بالتزاماته فى تنشئة الصغار على خير وجه؛ لأنه إذا لم يفعل فسيعجز عن أن يتفرغ كما يجب. . والصغار شديدو الحساسية فى هذا الأمر. . ويضاف إلى ذلك، فإن نقل هموم العمل إلى المنزل خليق بأن يجعل الأب ضيق الخلق، سهل الإثارة، وهذا أمر قد يفسر بواسطة الصغار أنه صد لهم، واعتداء عليهم، لأنه ليس فى وسعهم أن يفهموا باعثه الحقيقى، ولا أن يروا له سببا آخر.

١٦- على الأب أن يتجنب معاملة أبنائه على أساس الأمر والنهى والعقاب:

إذا ألحت على الطفل بعض رغباته، وهى لا بد أن تلح عليه أحيانا، فدفعت به إلى محاولة الانطلاق خارج الحدود التى تقتضيها مصلحته، ففى وسع الأب، ومن واجبه أن يعطيه فى حديث قصير إيضاحا لمدلول السلوك الذى يراد له قدر من الضبط. . والطفل كائن منطقى معتدل يستجيب إذا لقى الاحترام، وعومل على مستوى إنسانيته.

أما معـاملته على أساس الأمر والنهى والعقـاب، فإنها تثير فى نفسـه الكثير من أسبـاب الهم والقلق والخطيـئة والعدوان، فـوق أنها تؤدى إلى أن يرى أبـاه فى صورة المتسلط الباطش الغاشم لا الموجه الصديق الهادئ. . وشتان بين الصورتين تأثرا فى نفس الطفل.

وأخيرا:

مما سبق نرى أن الـدور الذى يستطيع الأب القيـام به فى تنشئـة أبنائه دور عظيم القدر والخطر، ولو قام كل أب بواجبـه فى هذا الصدد على النحو الذى ينبغى لكان لنا أن نرجو أن يجئ عالم الغد خيرا من عالم اليوم.

إن بيد الأب - إن أحـسن القيـام بواجبـه - أن ينشئ ابنه على الولاء، والإيمان والشجاعة، وضبط النفس والثقة بها.

بيده أن يفجر ما بنفس الطفل من ينابيع الخير والسخاء والحماس للحياة.

الفصل السابع

الوالدان.. والصحة النفسية للطفل

أهمية مرحلة الطفولة:

تعتبر مـرحلة الطفولة من المراحل المهمة فى حياة الفـرد، التى من خلالها يتعلم الطفل: القيم، والأخلاقيات، والسلوكيات، والعادات الصحية والعادات العقلية الحسنة.

كذلك لهذه المرحلة أهمية كبيرة فى تكوين شخصية الطفل وسلوكه، وأسلوبه فى التعامـل مع الحياة بعد ذلك.. حـتى أنه يعتقد بعض علمـاء النفس أن اتجاهات الطفل المميزة تتكون فى الأغلب من خلال التربية الأسـرية فى مرحلة الطفولة. حقيقة أن هذه الاتجاهات قابلة للتغيـير بعد ذلك من تأثير عوامل التربية المختلفـة، ولكنها على العموم لها تأثير فى مراحل العمر المختلفة التالية.

دور الوالدين لتحقيق الصحة النفسية للطفل:

١- القدوة الحسنة:

ينبغى أن يمثل سلوك الوالـدين القدوة الطيبة للأطـفال، فإن لهذا أكـبر الأثر فى طبع الروح الأسرية بطابع خاص، وذلك هو الذى يمتصه الطفل ثم ينعكس على سلوكه فى مرحلة الطفولة.. ومستقبلا.. فعليهما أن:

١- يقيما علاقاتهما معا على أساس المحبة والاحترام المتبادل.

٢- يتبعا معاملة ثابتة مع أبنائهما تجمع بين العطف والحزم.

٣- يعطيا الطفل فـرصة الحرية مع إطار الضبط والنظام فـتربى فيه الثـقة بالنفس والاعتماد عليها.

٤- ينميا فيه احترام حريات الآخرين، ومشاعرهم.

٥- ينميا فيه القدرة على ضبط النفس، وحسن التعامل مع الغير.

٦- يتجنبا الألفاظ الجارحة، والخشونة فى المعاملة.

٢- تدريب الطفل على احترام القيم الأخلاقية والروحية:

إن المجتمع المصرى يحتاج إلى الوعى والمعرفة والتوجيه إلى وسائل التربية السليمة للأطفال، حيث إن معظم الآباء والأمهات لا يبذلون جهدا فى توجيه أبنائهم.

فكثيرا ما يشجع فيهم الصفات غير المرغوب فيها بإهمالهم تهيئة الجو المناسب للتربية السليمة السوية. . مما يعطل إعدادهم إعدادا صالحا للحياة المستقبلة فى المجتمع. فالمجتمع لكى يكون سليما متجانسا يجب أن يقوم على صفات أساسية مثل: التعاون، وتبادل الثقة بين الأفراد والاعتماد على النفس، والمعاملة الصريحة المستقيمة.فإذا لم يدرب الطفل على هذه الصفات فى الأسرة عجز عن ممارستها فى حياته الاجتماعية بعد ذلك، مما يؤدى إلى تفكك المجتمع، وعدم وصوله إلى الرقى المطلوب.

٣- تجنب التدخل فى كل كبيرة وصغيرة:

تخطئ كثير من الأمهات، والآباء بتدخلهم فى كل صغيرة وكبيرة فى حياة أطفالهم وبمحاولة تقييد تصرفاتهم، بإرادة أو بدون إرادة.

وقد يلجأون فى سبيل ذلك إلى وسائل العتاب، والعنف، والقهر، مما يترتب عليه كبت حرية الطفل، وإشعاره بالحرمان، فيصاب بالتردد والجبن. ويفشل فى تكوين النظرة الصائبة للأمور.

٤- إشباع الحاجات النفسية للطفل:

لتوفير النمو النفسى السليم للطفل، ينبغى إشباع الحاجات النفسية للطفل فى مراحل العمر المختلفة بطرق سوية، وهى الحاجة إلى : الأمن، والعطف، والتقدير، والحرية، والنجاح، والضبط. . . ولإشباع هذه الحاجات تأثير واضح فى نمو الطفل النفسى، وتجنبه الشعور بالخوف أو النقص، أو الفشل.

٥- تجنب تمييز طفل على آخر أو تفضيل الولد على البنت أو العكس

فإن لهذا التميز آثارا سيئة من الناحية النفسية بعيدة المدى فى إصابة الأطفال بالغيرة، التى تتحول مع الوقت إلى شعور بالعدوان، والرغبة فى الانتقام. والتعويض عن العطف المفقود بوسائل شاذة.

٦- الجزاء والعقاب بطرق سليمة:

إن اتباع نظرية الجزاء والعقاب منذ الصغر بطرق سليمة يؤدى إلى تعريف الطفل بالخطأ والصواب بشرط أن يخلو العقاب من روح الانتقام والعنف وأن يخلو الثواب أيضا من مكافأة الطفل على ما يجب أن يقوم به من أعمال أو يؤدى من واجبات، حتى لا ينتظر المكافأة على كل ما يعمل مما يجعله أنانيا، ضعيف الشخصية لا ينظر إلى الأمور نظرة طبيعية... وكلما تحول الثواب من المستوى المادى إلى المستوى المعنوى أو النفسى، كان ذلك أدعى إلى نمو الطفل نموا سليما واتباعه السلوك المرغوب فيه بطريقة أفضل.

وكذلك يجب ألا يعاقب الطفل على خطأ واحد أكثر من مرة، وأن لا يعود الوالدان إلى معايرة الطفل بهذا الخطأ بعد ذلك.

٧- تحقيق الحب المتبادل بين أفراد الأسرة

إن أهم دور للوالدين أن يمنحا الحب لبعضهما ولأبنائهما؛ لأن المحبة هى أهم سمة للأسرة المتماسكة، وإذا انتفت أصبحت الأسرة بلا معنى .. ومفككة.

إن المحبة التى تملك قلوب أعضاء الأسرة تعطى المعنى وتشرح الهدف للحياة الروحية القوية والمحبة القائمة بين الأزواج والزوجات، وبين الآباء والأبناء هى وحدها التى ستدوم وتستمر مع الأبناء مدى الحياة.

فالطفل بالذات له قيمة كبرى فى الأسرة المتماسكة المتدينة؛ لأن فيه تلتقى مشاعر المحبة المتدفقة من كلا الوالدين، وكأن الطفل هو ملتقى مصب نهر الأبوة الخالدة، ونهر الأمومة الحانية العطوفة الأيدى . إنه ثمرة الحب المتبادل بين الزوجين، الحب الذى يمتد فيشمل كل جوانب حياتهما الجسدية والوجدانية.

٨- غرس القيم الدينية فى الأطفال:

عندما ينشأ الطفل فى أسرة متدينة، فإنه يتشرب الدين فى مذاق الحب، ويتشبع بروح الوقار والقداسة، ويمتلئ من مخافة الله وحبه، ويرسخ فيه الإيمان بوجود الله الحى . وينفتح وجدانه نحو حب الإله، ويشعر بالاطمئنان فى كل ما يعمل حيث إنه يشعر أن الله بجانبه.

ونتأدية العبادات فائدة كبيرة للطفل: حيث إنها تعطيه شعورا بأنه ينتمى إلى جماعة كبيرة تشترك معه فى التفكير والعقيدة فى تأدية العبادات بنفس الطريقة وهذا الشعور بالانتماء إلى الجماعة ينمى الشعور بالأمن والاستقرار.

وعليه، ينبغى أن نشجع الأطفال على الاختلاط بروح الدين وأهدافه والتمسك بالقيم الأخلاقية والسلوك السليم الذى يهدف لصالح المجموع، وحماية حقوق الأفراد من عدوانهم على بعض. وليس من المستحب أن يكون الاتجاه الدينى ضيق الأفق.

٩- التمسك بالسمات الدينية الأصيلة بالأسرة:

الحشمة، والطهارة، والعفة، والوقار:

ينبغى أن تكون هذه المبادئ أسسا قوية يقدسها الأطفال منذ نعومة أظافرهم، يصطبغون بها، إلى حد أن مغريات العالم، وإثاراته الشهوانية لا تستطيع أن تخرج منهم هذه العفة الأصيلة، وذلك الوقار العظيم.

- الوطنية وعدم التعصب:

الأسرة المتماسكة الحقيقية تشجع أطفالها منذ صغرهم على الاشتراك مع مواطنين يختلفون عنهم فى الديانة، والمذهب، والعقيدة على مستوى الوطنية وخدمة البلاد، وتأسيس دولة يسودها الوعى الوطنى والإخاء بين المواطنين، وتقديس المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار.. أى الانعزالية، والتقوقع، والتعصب، فهذه دلالة على وجود روح الطائفية التى يلزم إبادتها فى الجو المنزلى المتماسك.

ويستطيع الوالدان أن يساعدا ابنهما على مواجهة أى تحيز أو جفاء يبديه زميل له فى المدرسة مختلفا عنه دينيا أو مذهبيا، وذلك بأن يقدم الابن روح المودة لا عن ضعف وجبن، بل عن قوة وإيمان.

وعلى الوالدين أن يرشدا أبناءهما إلى كيفية الحياة بصفاء روحى، ونقاء اجتماعى خارجي، بإيمان داخلى فى القلب، ووعى وطنى مستند لخدمة الوطن.

١٠- العدالة فى المعاملة:

إن أفراد الأسرة إذا ما لقوا معاملة متناسقة، غير مشفوعة بالظلم، فإنهم يسلكون فى خط واحد، ولا تشوب علاقاتهم أية فرقة أو أية كراهية...

والعدالة معناها أن يلقى كل شخص الجزاء الذى يناسب سنه، ومكانته فى الأسرة، وهذه العدالة يجب اتباعها بالأسرة حتى يتسنى إحداث التأثير المطلوب فى أفراد الأسرة، وذلك بأن تكون العدالة بين أفرادها متناسبة، فقد يكون بين الأبناء من هو سريع الاستثارة، فيجب معاملته بطريقة معينة تتمشى مع حالته.

وكذلك تختلف معاملة الأطفال بالأسرة عن معاملة المراهقين بها.

١١- توفير الجو الديمقراطى فى الأسرة:

إن الجو الديمقراطى إذا ما شاع بأرجاء الأسرة منذ قيامها، فإن شخصيات أبنائها وبناتها تترعرع فى جو أقرب ما يكون إلى التلقائية والتفتح وتتفق مكونات الشخصية بحيث يبدى ما بها من استعدادات كانت ستبقى كامنة لولا توافر الجو الديمقراطى فى الأسرة.

من السمات التى تتميز بها الأسرة التى تتمتع بالجو الديمقراطى :

أ- حرية التعبير.

ب- حرية النقد.

ج- أخذ مقترحات كل أفراد الأسرة فى الاعتبار.

د- احترام حرية كل فرد، واحترام اختلاف الأمزجة الفردية.

هـ- تشجيع نمو كل فرد فى حدود طاقته.

ويقصد هنا بالنمو، النمو الجسمى، والعقلى، والوجدانى، والعلمى، والثقافى، والاجتماعى ولا شك أن الحرية إذا ما كفلت للطفل، وأزيلت المعوقات من طريق نموه، فإنه يأخذ فى النمو إلى أن يصل إلى النضج.

و- توفير أكبر قدر من السعادة لكل فرد فى الأسرة، وذلك بأن يتعاونوا فى سبيل توفيرها وتنميتها.

ز- احترام الصغير للكبير، وعطف الكبير على الصغير.

وينبغى ألا يفهم الاحترام بأنه إذلال الشخص الصغير لإعطاء الفرصة للطغيان والسيادة،بل يجب أن يفهم بأن الاحترام هو حب وتقدير، وليس خوفا وامتهانا.

ح- الإحساس بالانتماء للأسرة، وكيانها العضوى النابع من حب المجموعة.

١٢- انتظام اجتماعات الأسرة:

لكى تتحقق الصحة النفسية للأبناء فى الأسرة، وكى يستمر تماسك كيانها لابد أن يجتمع أفرادها بعضهم مع بعض فى أوقات منتظمة تقريبا، بحيث لا يتخلف منهم أحد بقدر الإمكان.

التأثير النفسى لاجتماعات الأسرة:

تؤدى هذه الاجتماعات إلى انسجام القلوب، وتقارب الأفكار، والتناسق بين الاتجاهات وكذلك خلق أهداف مشتركة، وآمال عريضة غير متعارضة.

أهداف اجتماعات الأسرة:

من أهم الأهداف التى ينبغى أن تستهدفها اجتماعات الأسرة:

أ- تتناول الأفكار بين أفرادها، وأخذ الصغير بنصيحة الكبير، وتبصير الكبير بما يحتاجه الصغير، وما يهتم به، ويتناسب مع مستواه العقلى .

ب- مصدر هام من مصادر الأفكار: فلقد تأتى فكرة من أحد الأشخاص، تمثل لدى الابن مكانة رئيسية فى عقله ووجدانه، بحيث تصبح محورا يدور حوله نشاطه.

ج- تنمية الثقة بالنفس لدى الأبناء: وذلك بإصغاء الوالدين إلى ما يقوله الأبناء والاستماع إلى ما يدور بخلدهم، حيث يعطيهم الفرصة للتدريب على الاستماع والتحدث .

د- تبادل العواطف ومشاعر الحب، والتقارب النفسى.

١٣- توفير النجاح للأبناء فى حياتهم المدرسية:

وذلك يتحقق بالوسائل الآتية:

* توفير المكان المناسب، البعيد عن الضوضاء.

* توفير ما يحتاجه الأبناء من أدوات وكراسات.. إلخ.

* الامتناع عن تكليف الأبناء بقضاء بعض حاجات الأسرة، وقطع مواصلة الاستذكار.

* الامتناع عن الخروج إلى زيارات، وترك الأبناء بالبيت للاستذكار.

* مراقبة الأبناء أثناء الاستذكار.

* قيام الأب أو الأم بزيارة المدرسة للوقوف على أحوال الابن أو الابنة بالمدرسة.

* المبادرة إلى اكتشاف ما يتعثر فيه الابن من المواد الدراسية، ومساعدته بالدروس اللازمة.

* تشجيع الابن بالحوافز عندما يثبت تفوقه.

* متابعة عملية التحصيل الدراسي، والإشراف على أدائه لواجباته المدرسية، والاطمئنان إلى علاقاته مع مدرسيه وزملائه أثناء فترة تواجده بالمدرسة.

أخيرا:

مما سبق يتضح لنا دور الوالدين المهم لتحقيق الصحة النفسية للأبناء فى مرحلة الطفولة، الذى يساعدهم على عبور جسر الحياة فى يسر وأمان، فيهنأون بطفولة سعيدة، ومراهقة هادئة، وشباب منتج، وشيخوخة آمنة.

الفصل الثامن

الوالدان.... واحترام شخصية الطفل

«الطفل الطبيعى يتفجر نشاطا، وحساسية، خيالا وتلهفا على اختبار ما يجذب نظره أو ينبه عنده حاسة أخرى من حواسه. . . ولذلك يشعر برغبة لا تقاوم فى أن يتحرك ويلمس بيده. . يشعر برغبة لا تقدر فى التعبير عما يحسه ويتخيله، وفى إثبات وجوده وأهميته لمن حوله».

جاءتنى سيدة متوسطة الحال يبدو عليها التعب ولا أغالى إذا قلت الإنهاك. . تعبر نظراتها عن قلق، وتنهداتها عن شعور بالضيق.

وتتلخص قصة هذه السيدة فى أنها تعانى من شقاوة ابنها الذى لا يتوقف عن الحركة، والنشاط الزائدين. . إذ أصبح يشكل إرهاقا لها ولأفراد الأسرة.

فالشكوى منه تكاد لا تنقطع، والخسائر بسببه تكاد لا تعرف حدا تقف عنده، فهو تارة يعبث بممتلكات غيره، وتارة أخرى يصب زجاجة الحبر على بعض الأشياء، ذات القيمة، هذا إلى جانب مضايقاته المستمرة، وعدم الرغبة فى التعاون، مما يحمل الأم على أن تشتد فى معاملته يضاف إلى ذلك تلفظه بالشتائم للمحيطين به، وتشعر الأم إزاء ذلك بحرج شديد ولاسيما أمام من يزورونها من أقارب وأصدقاء، وخاصة أنه يأتى بأعمال وسلوك تخجل منها أمامهم، الأمر الذى يضطرها إلى القسوة فى ضربه وعقابه.

ومع ذلك فكلما زادت هى شدة وقسوة وعنف فى التعامل معه ازداد هو عنفا وعنادا وعدم طاعة.

١- الخبرة الشخصية للطفل:

إن هذه السيدة تعالج الموقف الحالى بالقسوة فى التعامل مع طفلها، الأمر الذى يزيد الأمور تعقيدا. فهى لا تدرك أن الطفل الطبيعى يتفجر نشاطا وحساسية، خيالا وتلهفا على اختبار ما يجذب نظره أو ينبه عنده حاسة أخرى من حواسه.

فالطفل فى هذه السن يشعر برغبة تكاد لا تقاوم فى أن يتحرك ويلمس بيده، ويعمل بنفسه، يشعر برغبة قوية لا يمكن لأحد أن يحد منها فى التعبير عما يحسه ويتخيله ومحاكاة ما يسمعه، وما يراه فى البيئة التى يقيم فيها.

والطفل يشعر أيضا برغبة ملحة فى أن يثبت وجوده وأهميته لمن حوله، فإذا كانت هذه هى طبيعة الطفولة فى تلك السن، فحل المشكلة إذن ليس فى أن تقسو الأم فى معاملة طفلها أو تعاقبه بالضرب.

٢- الحرية والنشاط للطفل:

الطفل الطبيعى يمتلك نشاطا جسميا وعقليا، لا يعرف حدودا يقف عندها، وهو سيحاول أن يلتمس لهذا النشاط سبيلا للتعبير عنه سواء رضينا أم أبينا، وإذا طلبنا منه السكون فنحن نطلب منه المستحيل، هذه حقائق يجب الالتفات إليها دائما، حتى يمكن استغلال هذا النشاط فيما يشبع فيه الاطمئنان، ويكسبه خبرات جديدة، ويعرفه على تكوين عادات عقلية واجتماعية ذات قيمة ونفع.

ولذلك:

من الضرورى منح الطفل قسطا معتدلا من الحرية ليفرغ هذا النشاط فى أعمال يرغب فيها، ليتعلم كيف يركز تفكيره ويعمل فى خطوات منتظمة متصلة. الأمر الذى يؤدى إلى إعداد الطفل، والفرد بصفة عامة بحيث تتوافر له الشجاعة على مواجهة الواقع، ثم القدرة على حل ما يعرض له من مشكلات بدلا من التهرب منها.

٣- إرهاب الطفل يولد الانفجار أو الانهيار:

إن تعبيد الطريق الذى ينتهى بالفرد إلى الهناء والاستقرار النفسى، وحرية التفكير، والاستقلال فى التنفيذ، واكتساب الخبرات، واكتساب القيم الرفيعة التى تكون سلوكه، لا يمكن أن يكون بالإرهاب؛ لأن الإرهاب يشل التفكير، ويعطل التعبير، ويقلل النشاط، ويولد الضغط ثم الانفجار أو الانهيار.

وكل هذه الأمور مجتمعة تهدد هناءة الفرد لأنها تفسد عليه هدوء نفسه، وتضر بصحته العقلية، فوق ما تسببه من تخلخل فى وحدة نشاطه الجسمى والنفسى والذهنى.

إذن :

فالإرهاب لا يمكن - بأى حال - أن يسهم فى تعبيد الطريق الذى ينتهى بالفرد إلى التفكير الحر، والسلوك المستقل، والقدرة على التكيف مع مقتضيات الحياة الاجتماعية، أوالتغلب على ما قد يتحداه من أزمات، وهذه أمور لازمة للحياة المنطلقة المستقرة.

٤ - الخبرة الشخصية، والجو الأسرى الهادئ يكفل للطفل النمو السليم:

والحل المناسب الذى يكفل للأم الهدوء، ويكفل للطفل النمو السليم ويستنفد نشاطه، ويخفف حدة تلهفه على الاختبار بقصد المعرفة، ويشبع رغبته فى اللمس بيده والعمل بنفسه، وفى الوقت ذاته يشعره بالأهمية، الحل هو أن نوفر له الخبرة الشخصية، وأن توفر له ما يلزمه من خامات مستهلكة، ومواد طبيعة، ولعب تناسبه... مع توفير الجو الأسرى الهادئ الذى يساعد على توفير الشعور بالطمأنينة والثقة بالنفس التى تتيح له حرية فردية ينظمها التفكير التعاونى والرغبة فى رعاية حقوق الغير واحترامهم.. والتضحية من أجل الآخرين، ومساعدتهم.

٥ - تجنب استخدام الشتائم والألفاظ النابية على سمع من الطفل:

التقاط الطفل ما يمر على سمعه من ألفاظ

الطفل الصغير الذى تنبه حديثا على قدرته على الكلام، والتفت فجأة إلى هذا الكشف الجديد فى كيانه الخاص، يستمد لغته ممن يختلط بهم من الأفراد، فيلتقط عقله ما يمر على سمعه من الألفاظ والعبارات.

غير أن هؤلاء المخالطين لا يكونون عنده بمنزلة واحدة، من حيث اهتمامه بالتقاط ألفاظهم، وترديد عباراتهم، وإنما تكون لبعضهم مكانة خاصة عنده فى المرحلة الأولى، لتكوين قاموسه اللغوى، من بين هؤلاء المعلمون ذوو المكانة الخاصة، وكل شخص ذو مكانة ونفوذ كبير فى البيت مثل الأب والأم. وكذلك الشخص الذى يقضى الطفل معه أكبر وقته، والشخص الذى يغمره بعطفه، ويدافع عنه كلما ثار غضب «ماما» عليه لعبثه بأدراج أو غضب «بابا» وتمزيق بعض الأوراق.

الطفل لا يدرك مدلولات الألفاظ كما يدركها الكبار:

إن الطفل لا يدرك مدلولات الألفاظ كـما يدركها الكبـار، بداية عهده بالكلام، فنراه يردد الكلمات ترديـدا آليا، دون إدراك مغزاها أو مـدلولها، فليس من المستـغرب إذن، أن نسمعه يستعمل عبارات سمعـها منا، وألفاظا ما قصدنا أن يستعملها بحال من الأحوال.

فقد يصـغى مثلا: إلى حديث بين والـديه عن سوء حال الخادمة ويســمع ضمن الحديث: شتائم، ولعنات، مـصحوبة بتصميم على الاستغناء عنهـا، فيتجه الطفل دون تقدير أو وعى لما هو مقبل عليه، ويوجه بعض الشـتائم ليس للخادمة فحسب، بل لأى شخـص آخر ممن لا يجـوز مطلقا أن يخـاطب بمثل هذه العبـارات، وربما ازداد الموقف سواء، وحرجـا، حين يكون ذلك الشخص ضيفـا أو قريبا مما يجرح شـعور هذا الزائر المسكين، ويحرج الأبوين أمامه.

على أن الطفل البرىء لا ذنب له فى استخدام الشـتائم فى غير محلها، ولا فى نقله إلى الخادمة أو سواها، ما دار بين أبويه بشأنها.

ولكن:

اللوم يقع على الكبـار لأنهم لم ينتبهـوا إلى أن للطفل شخـصية يريد أن يشـعر جميع من معه بوجودها، وخصوصـا من يجد من الزائرين . ويستخدم فى سبيل ذلك قدراته التى يكتشفها حديثا، بصرف النظر عن منطق الكبار؛ لأنه طفل له منطق الأطفال الخاص بهم.

لهذا كـان من الصواب: أن تقيم وزنا لهذا المنطق وأصـحاب هذا المنطق، حتى لا نتصـرف أمامـه بما لا يجوز، وحـتى لا تتعـارض مطالبنا وقيـمنا وسلوكنا مع مطالب أبنائنا.

٦- التأثير السيئ لمناداة الطفل بغير اسمه السيئ:

ومن الأمور التى لهـا أثر سيئ على شخـصية الطفل، ونفـسيتـه، وعلى سلوكه العام إنما أن تناديه بأسمـاء غير اسمه-بأسمـاء مثل يا. . . ولد - يا شقى، يا كلب، يا حيوان. . . إلخ.

قد يخطر لنا أنه فعل عادى بسيط، لا يمكن أن يترك أثرا سيئا على خُلُق الطفل، أو نفسيته، ولكننا فى الحقيقة بتصرفنا هذا، نعوق تقدم أطفالنا، ونحارب نضوجهم، ونفسد علاقاتنا بهم.

ذلك: أن الأب أو الأم عندما تنادى طفلها باسمه، لا بأسماء أخرى، تعرف تمام المعرفة أن ذلك يشعره أنه محل رضاها، وتزيده اطمئنانا إليها، إذ إن فى عملها هذا إقرارا منها باعتبارها إياه وتقديرها لوجوده.

ولذا كان استخدام الطفل لاسمه: من أهم العوامل التى تشعر الطفل بأنه عضو متميز عن غيره، مما يحمله على الثقة بالنفس، والاطمئنان إلى من يحيطون به، الأمر الذى يؤدى إلى أن يكون أسهل وأسرع إلى تنفيذ ما يطلب منه.

أما استخدام الأسماء الأخرى: التى يشعر أنها مهينة له، وأنه لا يرضاها، فستولد فيه حتما، شعورا غير طيب من جهة أمه، كما تسىء إلى علاقته بها، وأن وقوعها فى مثل هذا الخطأ يؤدى بالطفل إلى مقاومتها، وإغضابها لأن العلاقة التى بينهما أصبحت غير مرضية، وفى الوقت نفسه تدفعه رغبته الملحة فى تعزيز شخصيته إلى أن ينبهها بوجوده، الأمر الذى يدفعه محتجا إلى العبث والتكسير، والعصيان، والعناد، والتمرد، وعدم الطاعة.. وما إلى ذلك سواء فى البيت أو فى المدرسة أو خارجهما.

هذا النوع من السلوك يؤدى غرضين من وجهة نظر الطفل:

الغرض الأول: مظهر من مظاهر الاحتجاج ، وهذا بدوره يؤدى إلى

الغرض الثانى : وهو ينبه من حوله إلى وجوده، وتلك هى مشكلة الطفل بل همه الأول يحققه بطريقته الخاصة التى تتناسب مع مقدار فهمنا له، وتقديرنا لوجوده بيننا فى صورة إيجابية.

وعلى ضوء هذا التفسير: يمكننا أن ندرك أنه من المصلحة أن نهتم بتفهم رغبات الطفل، ودوافع السلوك عنده قبل أن تشتد معه، حتى لا تكون الشدة موضع اللين، واللين موضع الشدة فتكون النتيجة غير ما نرضاه له أو لأنفسنا.

٧- تأثير مدح أحد الأطفال فى حضور أخت أو أخ أقل منه كفاءة:

كثيرا ما يصادف الأم التى تأخذ فى مديح أحد أطفالها فى حضور أخت أو أخ أقل منه كفاءة، وقد يكون صحيحا جدا ما تقوله فى مدح هذا الطفل .

لكن: لا يجب أن يكون المدح بالرغم من صحته على حساب شعور أو كرامة أخيه الموجود معه، يستمع إلى ما يقال من مدح دون أن يُذْكَر شيء طيب عنه، يكفيه أنه يعرف ويدرك كل ذلك من قبل كحقيقة واقعة.

ينبغى على الأم: ألا تزيد أمله بالمدح العلنى لأخيه فى حضوره؛ لأن أثر هذا المدح العلنى يكون أشد إيلاما لشعور الأخ المسكين إذا كان أكبر سنا من أخيه المحظوظ، أو كان ولدا تفوقت عليه أخته، الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى الغيرة، والكراهية والحقد فى نفس الطفل الأقل كفاءة.. ويفقد ثقته بنفسه، ويعبر عن كراهيته وحقده: بالعناد، والعنف، وعدم الطاعة.. إلخ.

ولذلك فعلى الأم: أن تكون الزميل والصديق العطوف الرحب الصدر، ليفرغ عندها الطفل مضايقاته كلها، ويجد فيها خير من يخفف عنه، ويصحح أخطاءه، ويوجهه التوجيه المرغوب فيها.

وربما تستطيع بهذا الأسلوب فى معاملته الوصول إلى سر ارتباكه ومن ثم إلى علة تأخره، وطبيعته، واضطرابه النفسى .

حينئذ يمكنها أن تعينه ، ويمكنها أيضا أن تجد عنده الشيء الكثير مما يستحق الذكر، ويستوجب المديح - فبذلك فقط - يقل تدريجيا قلقه على نفسه، ويشعر أنه لا يقل عن أخته الممتازة، فيطمئن، ويهدأ وتختفى عنده حالة الصراع الداخلى الناجمة عن شعوره بأنه أقل من أخته على الرغم من أنه ولد وأكبر منها سنا.

واجب الوالدين لمنع الغيرة:

١- فى حالة ولادة طفل جديد:

يستحسن أن يمهد الوالدان لاستقبال المولود الجديد، ويجب عليهما أن يحببا المولود الجديد له بشتى الوسائل، حتى إذا جاء المولود شعر الطفل أنه شيء محبب إلى نفسه لا منافس يريد أن ينتزع حب والديه انتزاعا.

كما يجب أن يقتصدا فى إظهار محبتهما وعطفهما على المولود الجديد، فإن ذلك مما يذكى نار الغيرة فى صدر أخيه، غير أنه كثيرا ما يبالغ الوالدان فى حمل وتقبيل المولود الجديد، فيثير ذلك عوامل الغيرة فى الطفل الأكبر.

٢- يجب على الآباء أن يقلعوا عن الموازنات الصريحة:

وذلك بتجنب خلق الجو الذى يشعر فيه الطفل بالموازنة. . بل يجب اعتبار كل طفل شخصية مستقلة لها مزاياها واستعداداتها الخاصة بها: فإذا نجح طفل فى عمل ما يجب أن يشجع ولا يوازن بغيره. وكل طفل مهما خاب، له ناحية طيبة يمكن كشفها والاعتزاز بها.

وبذلك : يمكن أن يزول الشعور النفسى والإحساس بالنقص. وبدلا من الموازنات بين أخ وأخيه أو التلميذ وزميله، يمكن الموازنة بين الطفل ونفسه فى أوقات ونواح مختلفة.

فإذا تقدم فى وقت ما عما كان عليه من قبل فهذا كافٍ لتشجيعه.

٣- يجب المساواة فى المعاملة:

بين الابن والابنة، لأن التفرقة فى المعاملة تثير الغيرة وتؤدى إلى الشعور بكراهية البنات للجنس الآخر فى المستقبل.

٤- عدم إغداق امتيازات كثيرة للطفل العليل:

فإن هذا يثير الغيرة فى الأبناء الأصحاء، وتبدو مظاهرها فى تمنى المرض وكراهية الطفل المريض. . وكذلك لا يجوز إعطاء أى امتياز أكثر من العناية التى يتطلبها المرض.

وخلاصة ما تقدم:

أنه يجب مهما تكن الفروق الفردية الدائمة بين الإخوة، عدم استثارة الموازنات الفردية المؤدية إلى الغيرة.

وهذا لا يمنع بالطبع من إظهار النواحى الطيبة فى كل منهم ومحاولة تنميتها والعناية بها.

الفصل التاسع

الحب... والصحة النفسية للطفل

ماهو الحب؟

أنه يشمل أشياء متعددة.. فمن الصعب أن تكون لدينا كلمة واحدة تعنى نواحى متعددة ومرتبطة ببعضها لهذا الإحساس الهام.. ولذلك ينبغى عند معاملة الأطفال والكبار أيضا، معرفة وفهم المصطلحات اللازمة للحب والصفة الهامة للحب والملازمة لنمو شخصية الطفل السوى هى التى تقول: «أحب هدى ليس لما تفعله أو لا تفعله بل لأنها هدى».

هذا النوع من الحب غير المشروط، المفضل للطفل على ما هو عليه لا يمكن الاستغناء عنه لنمو شخصية الطفل... بل هو الغذاء اللازم لضمان سلامة الشخصية السوية حتى فى المراحل المتقدمة الأخرى من العمر.

الحب الغذاء النفسى للطفل:

الحب للطفل هو الغذاء النفسى الذى تنمو وتنضج عليه شخصيته، وكما يتغذى جسمه على الطعام فإن نفسه تتغذى على الحب والقبول.. وكما أن جسم الطفل ينمو مع الغذاء الصحى لا مع أى لون من الطعام، فإن نفسه أيضا تنمو مع الحب الصحيح.. الحب المستنير الواعى فليس كل حب يقدم، مع الأسف، بالغذاء الملائم المفيد لنفس الطفل.

الحب الواعى المستنير: يقتضينا أن نبدأ أولا بإحاطة الطفل بجو «الدفء».. دفء شعورنا وحناننا وإقبالنا وبإعطائه من أنفسنا فى سخاء، فإن ذلك خليق بأن يملأه ثقة بنا واطمئنانا إلينا وبالتالى ثقة بنفسه وإطمنانا إلى العالم حوله، وهو بأشد الحاجة إلى هذه الثقة لكى يخطوا الخطوة التالية فى مسيرته نحو النضج.

أما هذه الخطوة التالية: فهى خروج الطفل ببطء تدريجيا عن أنانيته وتركيزه على نفسه، إن كل ما يجرى حوله لا معنى له فى أول الأمر من حيث ما يرتبط بنفسه فقط، ويرى أن رغباته حق مطلق لا سبيل إلى الإبطاء فيها أو الإغضاء عنها، كما يصر على

أن يوجه الانتباه كله إليه.. غير أنه إذا بدأ يطمئن إلى نفسه وإلى الدنيا من حوله، استطاع رويدا أن يخرج عن الذاتية المطلقة وأن يتجه فى بطء إلى قدر يسير من الموضوعية يطرد زيادة كلما تقدم به العمر.

وهذه الموضوعية: تساعد حقا على أن يدرك أن للغير أيضا رغبات وحقوقا قد تتعارض فى بعض الأحيان مع رغباته وحقوقه، وأنه لا بد له أحيانا من قبول الحل الوسط الذى قد يكون من شأنه إرجاء بعض رغباته أو التنازل عنها، أى أنها تساعده على أن يخرج عن تركيزه على ذاته وعلى أن يقبل المشاركة.. ومتى انبثقت هذه القدرة على نفس الطفل فقد أمنا عليه من الأنانية، وحق لنا أنه نطمئن إلى سيره قدما فى طريق النضج الصحيح.

الفهم الخاطئ للحب:

من الشائع فى مجتمعنا المتعلم إعطاء الطفل الإحساس بأن قبوله من آبائه ومدرسيه وأصدقائه يتوقف إلى حد كبير على ما يعمله، هذا يدعو الطفل إلى الاقتناع بما يعنى «إذا كنت تعمل جيدا فسوف أحبك على كل ما تعمل عملا متقنا يكون احتمال نجاحك أكبر، وكذلك أحبك أكثر وكل ما تهمل فى عملك تخطئ أكثر وأحبك أقل».

ويعد هذا الفهم الخاطئ والشائع عاملا كبيرا فى إحساس الطفل بالخوف، وعدم الثقة بالنفس، وله تأثير غير بناء على نمو شخصية الطفل. ويعتبر السبب الأساسى فى كثير من المشاكل الحالية والمستقبلة فى حياة الطفل.

ويمكن إدراك التشابه فى ذلك بما يأتى :

* بما يحسه الزوج بالاطمئنان والرضى عن معرفته أن زوجته تحبه بدرجة لا تتعلق إطلاقا بنجاحه أو فشله، ولا تعطى له الشعور بأنها تحبه أكثر إذا كان ناجحا فى حياته أو تحبه بصورة أقل إذا كان غير موفق.. ولكن تشعره بالحب الدائم سواء نجح أو فشل .

مثال آخر:

الزوجة التى تعيش وفق اعتبارها أن حب زوجها يتوقف مباشرة على وجود شبابها وجمالها، وعلى معرفتها تنظيم وإعداد الطعام، وعلى كيفية تصرفها بنجاح مع متطلبات المجتمع. بالمقارنة مع الزوجة التى تشعر بأن زوجها يحبها لشخصها، هذا الحب الذى لا يتعلق إطلاقا بجمالها وقدرتها على عمل ما .

نوع الحب الذى يساعد على نمو شخصية الطفل:

هذا النوع من الحب الذى يمنح للطفل الحب غير المشروط، هذا الحب يعتبر أحد الأركان الأساسية لنمو شخصية الطفل السوى .. هذا هو نوع الحب الذى يساعد على نمو الثقة بالنفس .. ويخلق فى الفرد إحساسه الطيب نحو نفسه، ويؤدى إلى إحساسه بالرغبة الصادقة أو يحاول ويغامر فى حياته بدون خوف من نتيجة الفشل. هذا هو نوع الحب الذى يخلق الأبطال ويساعد على نمو أطفال واعين مدركين للحياة.

هذا الحب : حيوى، وهام، وضرورى للطفل ولا سيما فى سنواته العشر الأولى من حياته.. وينبغى على الآباء منحه للطفل بسخاء فى هذه الفترة (وهذا لا يعنى أن هذا الحب غير هام فى مراحل العمر الأخرى فى الحياة).

فالفشل فى إقناع الطفل فى مراحل نموه المختلفة بأن هذا الحب هو : إحساس والديه نحوه، يكون السبب الوحيد والهام الذى يؤدى إلى انحراف شخصية الطفل فى مراحل الطفولة المتأخرة أو فى المراهقة أو فى الرشد.

ومما لا شك فيه أن معظم الآباء لديهم هذا الشعور بالحب والحنان نحو أطفالهم.

كيف يمكن نقل إحساس الوالدين بحبهم للطفل لشخصه وليس لما يقوله؟

هناك ثلاثة اتجاهات تصدر من الوالدين لكى يشعر الطفل أن الوالدين يحبانه لشخصه وليس لما يفعله.

أ- ينبغى أن تكون عدم الموافقة موجهة نحو ما يفعله الطفل وليس نحو الطفل نفسه:

الأفضل أن يكون واضحا فى ذهن وتفكير الآباء والمدرسين والموجهين، وكذلك إلى الطفل من البداية الحقيقة التى تدعو إلى أنه على الرغم من عدم الموافقة على ما يفعله الطفل فهو مقبول لدى الجميع، ويمكن الإدراك جيدا بأنه ليس هناك أى تعارض فى تصحيح ونقد أخطاء الطفل وفى الوقت نفسه مساعدته على الإحساس بحبنا له كإنسان مهم فعلا.. ولكى نوضح هذه الفكرة أكثر، ليس هناك أى تعارض فى نهر الطفل ونقده لسوء سلوكه ثم رفعه، ومعانقته أو التعبير له بالحب بالكلمات أو التقبيل.

وفى الحقيقة هذه الأفعال ليس بها تناقض أو تعارض، ولكن لها تأثيرا فعالا من ناحيتين:

١- يهمنى أن أصحح سلوكك لأنى أحبك.

٢- لا أوافق على أفعالك، ولكنى أحبك حبا جما دون النظر إلى ما تفعله، وفى الحقيقة ليس هناك أى تعارض فى رغبة الأب الصادقة فى تعليم وحب طفله. وكذلك المدرس الأمين، بلا شك يشعر بالفخر لمحاولته المخلصة فى تحسين سلوك الطفل عن طريق الحب.

وأيا كان الحال: فليس هناك تعارض فى أن يدرك الطفل ما يلى :

«أحبك حبا مستقلا عن سلوكك، أحبك حتى لو أدت تصرفاتك إلى إغضابى أحبك أكثر لو تسلك سلوكا حسنا».

وبذلك يحاول الطفل أن يعدل من سلوكه عن رغبة وليس عن رهبة.

٢- ينبغى أن يمتدح الطفل لشخصه أكثر مما يمتدح لما يأتى به من أفعال:

ينبع السبب الثانى من عدم فهمنا لدور الطفل من تحمسنا الزائد أن نرى أطفالنا ينجحون فى مجتمعنا المعاصر. وفى هذا الاتجاه نمتدح، ونكافئ أطفالنا حين يبذلون مجهودا كبيرا، ويحصلون على أى مستوى من النجاح. . مثال ذلك:

ما يشعر به الآباء من الفرح والرضا والتقدير الجيد الذى حصل عليه الطفل، أو لأى نوع من التفكير أو العمل المنتج الذى يقوم به الطفل، وبهذا يصبح من السهل أن يشعر الطفل أن هذه الأفعال هى المصدر الوحيد الذى عن طريقه ينال المدح، والمكافأة والقبول.

وأنه فى غاية الأهمية أن يغدق على الطفل الكثير من المديح والحب دون ربطهما بالتحصيل والنجاح. وينبغى أن نعطى الفرصة للطفل بالشعور بأن التقدير الجيد، والتفكير المنتج يستحقان الإعجاب والمديح والتشجيع أو المكافأة . . ومع ذلك ينبغى أن يشعر أيضا بأنه يمكن أن يمنح بسخاء المديح والتشجيع والحب دون أى ارتباط بأى شىء آخر حتى فى الحالات التى يتعرض فيها للنقد.

٣- ينبغى أن يكون الحب متبادلا:

ينبغى أن يدرك الآباء الصعوبات التى كان يعانى منها من سبقونا فى علاقاتهم ببعض، فإذا كان إنسان يحب آخر بكل ما فيه من مساوئ وعيوب دون أن يعلم الأخير

بهذه الحقيقة، فهذا الحب لا يكون له وجود، بل ينبغى أن يكون متبادلا فإنه لا يكفى أن يشعر الإنسان بالحب، بل ينبغى أن يشعر بحب الطرف الآخر، ويمكن للآباء التعبير عن حبهم لأبنائهم بوسائل متعددة أو بالحركات البسيطة كل يوم... وبعض هذه التعبيرات غير المباشرة عن الحب هى :

١- احتضان الطفل فى فراشه ليلا: على الرغم من ارتكابه بعض الأخطاء نهارا مع استمرار احتضانه حتى إذا وصل إلى سن لا يدعو إلى هذا النوع من التعبير.

٢- الإشارة إلى الطفل بهذه العبارة.. أصبحت الآن رجلا أو شابا فى الوقت الذى يرغب فيه أن يكون كبيرا.

٣- فى حالة ما إذا أخطأ الطفل فى عمل، فالأفضل الإشارة إليه بذلك عن طريق الضغط على الشفاة بدلا من لومه وإحراجه أمام أصدقائه.

٤- احترام شخصية الطفل فى كل المواقف، ومحاولة أخذ رأيه فى اختيار حاجياته وأشيائه الخاصة بقدر الإمكان.

٥- تجنب الإشارة أو امتداح أى طفل آخر سواء يعرفه أو لا يعرفه الطفل فى جميع المناقشات.

ولكن، لا تكفى هذه الأفعال للتعبير عن الحب للطفل سواء كان طفلا أم مراهقا أم راشدا؛ ولذلك، كان من الضرورى فى معاملة الأطفال التعبير مباشرة عن الحب كالقول «أحبك» أو «أنك طفل لطيف».. إلخ، ويفضل وقت التعبير عن الحب للطفل حين لا يكون منصرفا إلى أى عمل ما، وربما ذلك الوقت يكون حين يلجأ إلى فراشه للنوم مثلا .

وهناك طريقة أخرى للتعبير عن الحب للطفل:

وذلك بامتداحه، وسرد صفاته الحميدة على مسمع من الطفل أمام الأقارب، أو الضيوف فهذه الطريقة التى بواسطتها نتحدث عن الطفل بطريقة غير مباشرة تساعد كثيرا على التقرب والتآلف مع الطفل، ولكن لنحرص على ألا نقلل من شأن الطفل، وألا نذكر مساوئه لأى فرد آخر على مسمع من الطفل.

٤- ينبغى أن يشعر الطفل أنه المفضل لوجود صفات خاصة له وحده:

قليل من الآباء الذين يشعرون بقدر متساو من الحب لكل أطفالهم، وفى الغالب هم يحاولون ويكافحون ليظهروا حبا متساويا لكل طفل لإحساسهم بأن هذا هو العدل، ولكن هذا المجهود لا قيمة له.

وهناك رأى أعتقد أنه صائب:

يحتاج إليه كل طفل، ومن حقه أيضـا أن يعتقد بأنه الطفل المفضل لدى والديه، وبأنه لا ينال قدرا مساويا من الحب مع إخوتـه وأخواته بل يمنح من الحب بقدر أكبر من أى منهم.

ينبـغى أن يشعر الـطفل بأنه المفضل وذلك لوجـود صفـات ومميزات خـاصة له وحده، فمثلا أفضل «منى» لأنها الكبرى، و«هدى» لأنها الصغرى، «ورامى» لأن شعره جميل، فيشعر الطفل أنه مقبول ومـحبوب من والديه لصفة فيه، وليس لعمل قد قام به أو سوف يقوم به.

فإذا شعر الطفل أنه المفضل لأنه أكثر أدبا أو أحسن سلوكا أو أكثر رقة، فإن هذا الاتجاه سوف يعجزه عن الاستمرار على هذا النحو.

أما إذا كان شعور الطفل أنه المفضل دائما لأنه قائم على صفاته الشخصية المميزة فسوف يبعث ذلك فى نفسه الإحساس بالهدوء والرضا والاطمئنان.

الطفل والحب المستنير الواعى:

إذا كنا نحب الطفل حبا مستنيرا واعيـا، لأهمية قدراته وحدوده، ويقظته لرغباته وحاجاته، فإن فى ظل هذا الحب سينمو الطفل أيـضا مطمئنا، وسيدفعنا هذا الحب إلى أن نقف منه موقف التـشجيع والمسـاندة ما احتـاج إليهما فى كـفاحه الدءوب لمـارسة قدراته تحقيـقا لحاجات نموه.. لن يخطر لنا أن نقوم عنه ببعض مـا يود فنحرمه من لذة الاكتشاف والأداء اقتصادا للوقت والجهد..

فإذا أصاب نجـاحا فى جهوده التى نراها صـغيرة ويراها كبيـرة أحس منا الغبطة ولقى الثناء، وإذا أصـاب فشلا لمس منا الهـدوء والتشجـيع على أن يعيـد المحاولة من جديد، فإذا به يزداد اطمئنانا إلى العالم حوله، وإذا به يبدأ يشعر بالثقة بنفسه ثم تـستمر الطمأنينة تحوطه، والثقة تنمو معه حتى يكبر ليكون إنسانا متزنا هادئا واثقا من نفسه فى

غير خيلاء أو زهو، قادرا على مقابلة تحديات الحياة فى فهم وعزم، بعيدا عن أن يزهيه النجاح أو يقعده الفشل، ناعما سعيدا بما يحقق، منطلقا إلى المستقبل فى إيمان وتفاؤل، سيد قدره ومسيره، فى نطاق ما يملك الإنسان وسلطان على القدر والمصير.

الطفل.. والحب الغشيم المغلق:

إذا كان حبنا للطفل «الحب الغشيم المغلق» الذى يخاف عليه الأذى فيحوطه بعناية مسرفة، نرقبه فى جذع، ونحصى عليه خطواته نكاد نمنعه من أى نشاط مستقل خشية مما يتعرض له من ضرر، سينتقل هلعنا على الطفل، فيباعد بينه وبين الطمأنينة وسيبدأ ينظر إلى العالم حوله وكأنه مستودع أخطار لا يعرف حتى أو كيف أو من أين ستدهمه، والطفل إذا ملأ الخوف نفسه قيد متطلعاته، وخفقت قدرته على الانطلاق إلى الخبرة فقعد دونها كيف ننتظر منه حين يكبر أن يكون إنسانا، عارفا قدراته، مطمئنا إليها، واثقا من أنها ستكون عدته وعونه فيما يقابل من مشاكل الحياة.

الطفل.. وتقدير وتشجيع الكبار لما يفعل:

شعور الطفل بتقدير الكبار من أفراد أسرته لما يفعل ينبه فيه خير ما عنده، ويبعث الحماس للقيام بخير ما يستطيع، أما من لقى الاستهانة والتحقير أو الإساءة، وعدم الاكتراث فلن يبعث ذلك فى نفسه إلا الشعور بالمرارة والعجز... ذلك أن قدرات الطفل تتغذى وتنمو على التشجيع، ولكنها تضمر وتموت على التقريع والتثبيط والإهمال، ومعنى ذلك ألا ينتقد الطفل أو يراجع إذا أخطأ، وألا يحفظ من التعرض لأخطاء يؤذيه التعرض لها فعلا، ولكن ما أبعد الفارق بين المراجعة فى رفق والوقاية فى هلع أو الإشاحة فى إهمال وازدراء أو اللوم فى تحقير وعنف.

فإن الكبار الذين تعوزهم الثقة بالنفس كانوا رجالا لم يحاطوا بالفهم والمساندة والتشجيع، ولم تسعد قلوبهم بكلمة ثناء قط، ولم يحاطوا بالحب الواعى المستنير الذى يبعث الاطمئنان والثقة فى نفوسهم.

الطفل وإحساسه بحب المحيطين:

مما سبق يتبين أن قوة الخلق والشخصية والشجاعة والعزم والأمانة والاتزان والثقة بالنفس والرغبة فى أن يكون الإنسان خيرا إنما تنبعث كلها من شعور الطفل بدفء الجو

الذى يعيش فيه، ومن خبرته بأنه موضع الحب والثقة والاحترام، وبأن جهوده تلقى من المساندة والتشجيع، ثم من الثناء والتقدير ما تستحقه، وما أكثر ما يعرض للأسرة من فرص لتنمية هذه الفضائل فى صغارها كل يوم.

فإذا شئنا أن ينشأ أبناؤنا على الثقة والاطمئنان، وأن يتجهوا إلى العمل البنَّاء فى تعاون وإيثار، وأن يجدوا السعادة فى البذل والعطاء فلنعطهم الحب أولا، لنعطهم الحب الواعى المستنير اليوم، إذا شئنا لهم أن يعطوه لنا بدورهم فى غد، لنعطهم الحب فإن فاقد الشىء لا يعطيه.. ليكن حبنا لهم حب الإيثار لا الأثرة، حب العطاء لا الأخذ.. حب التضحية والبذل... الحب الذى ننسى أنفسنا فيه دائما ونذكرهم أبدا، حتى يمهد لهم السبيل ليكونوا الأفراد الذين نود ويود الوطن معنا أن يكونوا.

الفصل العاشر

حاجات النمو... للطفل

إن مرحلة الطفولة هى المرحلة التأسيسية فى نمو الطفل من جميع النواحى : الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية؛ لذلك : يجب أن نقف على حاجات الطفل الجوهرية، وعلى كيفية تحقيقها وإشباعها، لكى ينمو الطفل ويتفتح بشكل كامل متزن فى جوانب شخصيته المختلفة: الجسمية، والنفسية، والاجتماعية، والعقلية، والروحية، وكلها حاجات ضرورية يجب إشباعها حتى تنمو شخصية الطفل نموا سليما متزنا.

وينبغى ملاحظة أن هذه الحاجات تتشابك وتتداخل وتتفاعل، بحيث إن عدم إشباع أى حاجة يؤثر على الحاجات الأخرى فيحبطها:

فمثلا: إذا لم تشبع الحاجات الفسيولوجية المختلفة، كالحاجة إلى الغذاء، والراحة، والنوم، فسوف تسبب إحباطا لحاجة أساسية من حاجات النمو الوجدانى والاجتماعى وهى الحاجة إلى الأمن.

كذلك: عدم إشباع حاجة الطفل إلى الحب والعطف والحنان بإهماله ونبذه، أو القسوة عليه، وكثرة تهديده، وعقابه، يؤدى إلى زعزعة شعوره بالأمن، وهذا بدوره يؤثر تأثيرا سلبيا على نموه الجسمى والعقلى والوجدانى .

١- حاجات النمو الجسمى للطفل:

تشمل حاجات النمو الجسمى للطفل ما يأتى :

أ- الغذاء الصحى:

الغذاء الصحى يلعب دورا هاما فى نمو الطفل:

* يزود الجسم بالطاقة التى يحتاج إليها للقيام بنشاطه.

* يساعد على إصلاح الخلايا التالفة وإعادة بنائها.

* يساعد على زيادة مناعة الجسم ضد بعض الأمراض.

العناصر الغذائية التى يحتاج إليها الطفل : المواد السكرية، والنشوية، والمواد البروتينية الحيوانية، والنباتية، والأملاح المعدنية، والفيتامينات والماء.

يحتاج الطفل إلى :

١- ثلاث وجبات رئيسية يوميا، تحوى الكميات الكافية من الأغذية الحيوية اللازمة لنموه، ونشاطه ووقايته من الأمراض مثل:

اللحوم - البيض - اللبن - والزبدة- والفواكه- والخضروات المطهية والطازجة والخبز.

٢- يحتاج أيضا إلى أن يعوّد على تناول الوجبات كاملة، وفى مواعيدها، حتى لا يتعرض للجوع بين الوجبات، فيضطر إلى تناول الفاكهة والحلوى التى لا تمده، بالأغذية الأساسية اللازمة له فى هذه السن، وبذلك يتعرض لأمراض سوء التغذية.

ب-الإخراج:

* يتحكم الطفل فى التبرز فى سن عام.
* يتحكم الطفل فى التبول فى سن ٢-٣ سنوات.
* الاتجاه السليم فى التعامل مع الطفل خلال عملية التدريب على ضبط وظائف الإخراج.
* يبدأ التدريب على هذا الضبط قبل سنة يعد نضوج عضلات الظهر.
* على الأم أن تعود الطفل على الجلوس على الإناء الخاص بالتبرز فى مواعيد منتظمة، وتعلمه أن يحدث صوتا معينا عندما يريد التبرز.

فى حالة إخفاقه: تتجنب التوبيخ والعقاب بل تظهر عدم رضاها فقط، وتعيد محاولات التدريب.

فى حالة النجاح: وتشجع الأم طلفها، وتظهر رضاها، وموافقتها فيسعد بذلك الطفل ويحاول التحكم .

تمثل هذه العملية أول احتكاك الطفل بالسلطة الخارجية.

التبكير فى التدريب، وعقابه على عدم قدرته على الضبط يؤدى إلى أن يشب الطفل معرضا للأمراض النفسية، وخاصة الوسواس القهرى، ويشب كارها للسلطة الخارجية.

ج- الحاجة إلى الملبس المناسب:

يحتاج الطفل إلى ملابس مناسبة للجو الذى يعيش فيه، مع ملاحظة عدم الإكثار من الملابس بطريقة مبالغ فيها، لأن ذلك يجعله يشعر بثقلها، كما أنه يعرضه لنزلات البرد بسبب غزارة العرق، وخاصة إذا كان من الأطفال الذين يتميزون بكثرة الحركة.

د- الحاجة إلى مسكن مناسب:

هو الذى يتوافر فيه: الهواء النقى، والشمس، والهدوء والبعد عن الضوضاء والاتساع وتوافر المكان الذى يستطيع أن يجرى ويلعب فيه؛ لأن الحركة واللعب هما مفتاح النمو الجسمى والعقلى والوجدانى والاجتماعى للطفل.

هـ- الحاجة إلى الوقاية والعلاج من الأمراض:

بالوسائل الطبية المعروفة لمقاومة كثير من الأمراض، والوقاية منها:

كالجدرى، والدفتيريا، والتيفود، وشلل الأطفال، والسعال الديكى، والسل، والحصبة، وغير ذلك من الأمراض الأخرى .

وسرعة معالجة الطفل من المرض بمجرد ظهوره لتجنب المضاعفات.

و- الحاجة إلى الوقاية من الحوادث :

ترتبط ارتباطا شديدا بحاجته النمائية للحركة واللعب والجرى، والتى يرتبط بدورها بحاجته إلى الكشف والمعرفة، وحب الاستطلاع.

لذلك فالطفل فى حاجة إلى الرقابة والوقاية من الظروف المؤدية للحوادث، كما أنه أيضا فى أمس الحاجة إلى تعلم السلوك الذى يؤمنه من الأخطار.

٢- حاجات النمو العقلى للطفل:

أ- الحاجة إلى البحث وحب الاستطلاع:

١- يرتبط نمو الطفل العقلى بنموه الجسمى، والطفل بطبيعته ميال للحركة واللعب كما أنه ميال بغريزته إلى المعرفة وحب الاستطلاع.

٢- يكتسب معلوماته ونمو معارفه عن طريق خبراته التى يمارسها بنفسه عن طريق استعمال عضلاته، وعن طريق حواسه المختلفة كالبصر والسمع، والذوق، والشم، واللمس، فالحواس هى أبواب المعرفة.

٣- وأخيرا فإن ألوان نشاط الطفل تحقق حاجته إلى : الحركة، واللعب وإشباع لفهمه المعرفة، وفهم البيئة التى يعيش فيها.

ب- الحاجة إلى اكتساب المهارات اللغوية:

يرتبط النمو العقلى أيضا بالنمو اللغوى، والجسمى :

العوامل التى يتوقف عليها النمو اللغوى :

* العمر الزمنى . * الصحة العامة . * الجنس.
* الذكاء . * البيئة . * الاتصال بالكبار والتفاعل معهم.

ج- الحاجة إلى تنمية القدرة على التفكير:

من خلال :

* الملاحظة الدقيقة للحقائق .
* ممارسة الخبرات الحسية والحركية.
* كسب المهارات اللغوية.
* تهيئة بيئة زاخرة بما يشجع الطفل على اللعب والبحث والممارسة العقلية للأشياء.
* الاتصال بغيره من الصغار والكبار.

٢- حاجات النمو الانفعالى للطفل:

أ- الحاجة إلى الأمن.

* تعتبر الأم مصدر الإشباع لحاجات الطفل، والسند الأساسى لأمنه واطمئنانه فهى التى :

* تطعمه إذا جاع. * تدفئه إذا برد. * توفر له الراحة إذا تعب.
* تهرع لنجدته إذا صرخ. * لا تعاقبه إذا أتعبها أو أقلق نومها ليلا بصراخه وبكائه.

* لا تقسو عليه أو تضربه إذا تسبب فى إتلاف شيء من ملابسه . أو أثاث مهده. ولكل هذا يشعر الطفل أنه فى حماية، وفى طمأنينة وسعادة، وتمتلئ نفسه بالأمن.

* ملاحظة الأم للطفل تؤدى إلى نمو الجهاز العصبى والمساعدة على النمو الحركى. الخبرات المختلفة مثل : الهز، والغناء، تشبع المطالب السيكولوجية عند الطفل.

* إذا أخفقت الأم فى إشباع أمن طفلها فى سنواته الأولى : بإهمالها إياه، تسىء إليه حاليا ومستقبلا، فيشعر طول حياته بالخوف من الناس، وعدم الثقة بهم ويظل يشعر بالاضطراب والقلق وعدم الاستقرار.

الطفل لا يشعر بالأمن إلا إذا:

عاش فى جو أسرى متماسك فى كنف والديه. فتمتلئ نفسه ثقة، تكون معينه الأكبر على تكوين علاقات اجتماعية سوية مع غيره من الناس فى مراحل العمر المختلفة.

عوامل عدم إشباع الطفل بالأمن:

١- انفصال الأم عن الطفل فى سنواته الأولي .

٢- تفكك الروابط الأسرية.

٣- فقدان أحد الوالدين أو كليهما.

٤- الشجار بين الوالدين.

٥- إصابة أحد الوالدين أو كليهما بمرض نفسى أو عقلى .

ب- الحاجة إلى التقبل:

* الطفل فى حاجة إلى أن يكون محبوبا مقبولا مرغوبا فيه من الوالدين والآخرين.

* الطفل فى حاجة إلى الانتمائية.

* الطفل فى حاجة إلى أناس يعترفون به ويبادلونه حبا بحب ويشعرونه بكيانه.

* الطفل فى حاجة إلى أسرة يجد فيها الحماية والعطف .

* الطفل فى حاجة إلى أسرة توفر له احتياجاته المادية والنفسية.

تأثير تقبل الطفل من المحيطين:

* يكون أكثر ثقة بنفسه، وأكثر استقرارا وميلا إلى المودة.

* يكون قادرا على تكوين علاقات اجتماعية طيبة مع المحيطين.

* يكون تبعا لصفاته المزاجية: إما هادئا متزنا أو نشطا متحمسا.

تأثير نبذ الطفل:

* فقدان الشعور بالأمن.

* يبث فى الطفل روح العدوان، والحقد، والعناد، والعنف، والرغبة فى الانتقام.

* يؤدى إلى الجنوح عند الأطفال والشباب.

* يؤدى إلى استدعاء الأنظار إليه، متلهفا إلى العطف بطرق منفرة.

* يصبح مترددا، قلقا، مرتبكا، خجولا، غير مكترث.

ج- الحاجة إلى التقدير الاجتماعى:

* يجب أن يشعر الطفل بأنه موضع سرور وإعجاب والديه والناس.

* يجب أن يعامل ويقدر كفرد له قيمته.

* يجب تحقيق إحساسه بالأهمية بقيامه بخدمات بسيطة للآخرين ممن حوله.

د- الحاجة إلى النجاح:

تشجيع الطفل والثناء عليه عند قيامه بأعمال فى حدود قدراته، فيؤدى ذلك إلى مزيد من الثقة بالنفس، فيبذل الجهد مما يؤدى إلى شعوره بالأمن ويدفعه إلى الاسترسال فى محاولة تحسين سلوكه، وكسب مختلف الخبرات والمهارات.

هـ- الحاجة إلى تأكيد الذات:

يبدأ شعور الطفل بذاته كذات مستقلة فى أوائل السنة الثانية. ويبدأ عمليات المشى والكلام التى تسهل انفصاله واعتماده على أمه، وتزيد فى الوقت نفسه من اعتماده على نفسه ومن اتصاله بالآخرين.

- عناصر إشباع حاجة الطفل إلى تأكيد ذاته:

* تشجيع الطفل على الاستقلال والاعتماد على نفسه بقدر ما يتطلبه نموه.

* توفير مناخ الحرية والاستقلال وتشجيعه، ومراعاة حسن معاملته.

* إتاحة الفرصة أمامه من حين لآخر كي يجرب بنفسه شئون الحياة.

* عدم التدخل لمساعدته إلا لإنقاذه من أى خطر عادى قد يلحق به.

و- الحاجة إلى الاستقلال والحرية:

* أول استقلال ظاهر للطفل هو استقلاله عن أمه بالفطام.

* يستقل عن أمه جزئيا، ليتصل بباقى أفراد الأسرة، ويساعده على ذلك المشى والكلام.

* يستقل عن أفراد الأسرة جزئيا حين يتصل برفاقه فى المدرسة.

* فى حاجة إلى : المشى، والكلام، والجرى، والتسلق.

* فى حاجة إلى : اللعب بالأشياء، ومع الناس فيتعلم الاعتماد على الناس، ويكتسب الثقة فيهم، ويزداد أمنه إلى العالم حوله.

- معوقات الاستقلال:

* المبالغة فى حماية الطفل، يفقد نشاطه خشية أن يصاب بمكروه .

* اعتماد الطفل على الكبار. حتى فى أبسط الأمور.

- تأثير الحماية المفرطة:

* سلوك غير موغوب فيه، وسوء التكيف الاجتماعي.

* مقاومة السلطة. تصل إلى درجة التحدى .

* الإصرار على أن يكون مركز اهتمام، وينتظر الكثير من الآخرين.

* الالتجاء إلى الغضب والصياح، والتهديد، والعنف، إيذاء الغير.

* فرض ما يحبون ويكرهون على المحيطين، ولا يعترفون بخطئهم.

ز- الحاجة إلى السلطة الضابطة والمرشدة:

* يحتاج الطفل إلى سلطة ضابطة تشعره بالرقابة والإرشاد.

* يحتاج إلى نظام يفرض عليه كإطار للحياة المنتظمة فى البيت.

* يحتاج إلى بعض الأوامر المعتدلة التى تحد من نزعاته الاندفاعية. الأمر الذى يجعله يساير جو البيت والمجتمع الذى يعيش فيه.

* يحتاج إلى ثبات الوالدين كوحدة تشترك فى تربية الطفل فى معاملته وتنشئته.

ح- الحاجة إلى الرفاق من سنه:

* يتفاعل معهم ويشترك فى ألعابهم اشتراكا فعليا فى الرابعة أو الخامسة.

* الطفل فى هذه السن أنانى متركز حول نفسه.

* هنا تظهر أهمية المدرسة فيها يتعرف الطفل بمجموعة من الأطفال، تستمر العلاقة بينهم فترة طويلة من خلال اللعب.

٤- حاجات النمو الاجتماعى للطفل:

أهمية التنشئة الاجتماعية للطفل:

لها أثر عميق وخطير فى تشكيل شخصية الطفل وتنشئته وذلك لأن:

* الطفل فى مرحلة الطفولة يكون خاضعا لسلطان أسرته.

* يكون فى سن سهل التشكيل، شديد القابلية للإيحاء والتعليم.

* يكون قليل الخبرة عاجزا، ضعيف الإرادة، قليل الحيلة.

* فى حاجة دائما إلى من يعوله، ويرعى نموه وحاجاته العضوية والنفسية.

دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية للطفل:

* تعريفه بالسلوك السليم المتوافق مع المجتمع.

* تدريبه على طرق التفكير السليم المتزن البعيد عن الاندفاع.

* غرس المعتقدات الدينية.

* التعود على كف بعض الدوافع غير المرغوب فيها أو الحد منها.

* إقامـة الحواجز، والتـوجيه ضـد الإشباع المبـاشر للدوافع الجنسـية، والدوافع العدوانية، وهى الحواجز اللازمة لبقاء كل مجتمع.

* تدريبه على : المشى، والكلام، وضبط المثانة والأمعـاء، والاستيحاء الجنسي، وكبت العدوان على الآخرين، والأقربين والكبار.

* الالتزام بالعبادات، وطرق التصرف الملائمة، والآداب الاجتماعية، ونمو المبادئ السليمة، والسلطة نحو الوالدين والأسرة.

* الانضباط، والتعود على التوقيت المنتظم.

* احترام المحيطين، وتجنب الأنانية، والعدوانية.

* التعود على احترام المحيطين، وتجنب الأنانية والعدوانية.

* القيام بأدوار معينة محدودة: أهمها الدور الذى يحدده الجنس، ذكرا أو أنثى.

الفصل الحادى عشر

العادات الصحية والعقلية الحسنة للطفل

١ - العادات الصحية الحسنة للطفل:

على الأم أن تعود طفلها على العادات الصحية النظيفة، حتى تكون جزءا من البرنامج اليومى الذى يكرر يوميا. . ويساعد الطفل على اكتساب هذه العادات.

* وجود القدوة الحسنة من الأبوين، وعموما يكون صدر الأم الرحب وجو الصداقة والمحبة بينهما وبين الطفل عاملا هاما لاكتساب هذه العادات.

* فالطريقة العنيفة المتسرعة، والأوامر والنواهى الشديدة تأتى بنتيجة عكسية، إذ يكره الطفل عادات النظافة، كما أن الإهمال من الأبوين فى مسكنهم الخاص، وعدم اهتمامهم بتعويد الطفل على النظافة سيؤدى إلى قذارة الأطفال وإهمالهم.

أ - النظافة الشخصة، ونظافة البيئة:

على الأم أن تساعد الطفل على أن يتعود يوميا على غسل الوجه مثلا، والأسنان فى الصباح وقبل النوم، وكذلك يعتاد على غسل يديه قبل الأكل وبعده.

ب - النظام:

الطفل قبل السادسة لا بد له أن يتحرك، وأن يمسك الأشياء ويختبرها، فيخل ذلك بنظام المنزل، وليس من الحكمة أن تمنعه من ذلك، فكأننا نضع العقبات فى طريق نموه السليم؛ لذلك: ينبغى أن تخصص غرفة أو ركن خاص للطفل ليعبث فيه كما يشاء، كما نبعد عنه الأشياء الثمينة أو الخطرة.

ومن السادسة فأكثر: تشرك الأم طفلها فى المحافظة على النظام، فترشده إلى كيفية ترتيب لعبه بعد أن ينتهى منها، وتطلب منه فى رفق مع الإرشاد أن يعلق ملابسه. وأن ينظم كتبه ولوازمه.

وتبث الأم فى طفلها الشعور بالفخر لأناقة غرفته ونظامها ونظافتها، ولا تصيح فى المبالغة فى تطبيق النظام، إذ يكون ذلك فى أغلب الأحيان على حساب الصحة النفسية للطفل .

ج- الراحة:

* يحتاج الطفـل فى سن ٦ ، ٧ سنوات إلى عشر ساعات من النـوم يوميا وتقل ساعات النوم بنمو الطفل.

* ومن سن العاشرة يحتاج إلى ٩ساعات من النوم يوميا.

* ومن الثـانية عشـرة حتى الأربعين يكفـى أن ينام الفرد من ٦ إلى ٨ سـاعات يوميـا، ويجب أن يعود الطفل على احـترام مواعـيد النوم بأن نهـيئ له جوا سـاكنا خاليـا من المؤثرات المخـتلفـة التى تؤدى إلى الأرق أو إلى اضطراب النوم.

د- الرياضة:

فضلا عن الفائدة الجسمية التى تعود على الطفل من الرياضة، فهناك فوائد نفسية كثيرة منها:

* اكتساب الثقة بالنفس والاعتماد عليها.

* الاختلاط بالأفراد الآخرين فى جو سليم.

* التعبير أو التنفيس عن النزعة العدوانية بطريقة مقبولة من المجتمع.

* وكذلك تعلم الروح الرياضية: كأن يتقبل الفرد الهزيمة بصدر رحب مع الأمل المستمر فى الانتصار مستقبلا.

* وفى حالة الانتصار يتعلم ألا يزهو بنفسه ويركبه الغرور.

هـ- التغذية:

على الأم أن تهيئ للطفل أنواعـا مختلفـة متنوعة من الطعام الذى يحـتوى على جميع العناصر الغذائية الحيوية اللازمة للنمو.

والطفل الطبـيعى سوف يخـتار منها مـا يناسب مزاجـه الخاص، وهو فى أغلب الأحيان يختار ما يكون الغذاء الكامل.

ولذلك : ليس من الصحة النفسيـة فى شىء ما أن يجبر الطفل على تناول طعام لا يريده، أو تناول كمية أكثر من طاقته.

يجب أن يكون الجـو المصاحب لعـملية الطعـام جوا هادئا خـاليا من المنغـصات فتتجنب الأم الحديث فـى الموضوعات المثيرة أو المخيفة، كمـا تتجنب إجبار الطفل على الطعام بأى طريقة من الطرق المثيرة أو المخيفـة، فلا يصح استعمال الضرب أو الشدة أو التهديد ولا المحايلة الزائدة أو استعمال الرشوة.

و- العناية بالقوام والمظهر الخارجى:

للمظهر الخـارجى وظيفـة اجتمـاعية، فـهو يساعـد على اكتـساب رضى الناس وإعجابهم وقبولهم. . .

* فالاهتمـام بالمظهر الخارجى يدل على اهتمام الشـخص برأى الناس مما يساعد على التوافق الاجتماعى، والقبول والمحبة والانسجام مع الآخرين.
* والطفل يشعر بأهميته عند العناية : بشعره وملابسه، وأظافره.
* ويجب أن يتعود الطفل عـلى المشية الصحيـة والجلسة الصحية، والتى يسـتمر اتباعه لها مدى الحياة فيتجنب بذلك أى إعاقات أو تشوهات فى قوامه عامة.

ز- العناية بالنظر:

يجب أن يتـعود الطفل القراءة في ضـوء كاف، وعلى بعـد مناسب من العين . وإذا احتاج الطفل إلى نظارة يجب أن يتعود قـبول ذلك بدون حرج أو ضيق. ويتوقف ذلك إلى حد كبير على اتجاه الوالدين ومساعدته على ذلك.

٢- العادات العقلية الحسنة للطفل:

يجب أن يساعد على اكـتساب العادات العقلية الحسنة التى تـساعده على التوافق مع البيئة، وعلى مواجهة مشكلات الحياة بطريقة ناجحة.

وفيما يلى أهم الاتجاهات السليمة للطفل:

أ- احترام القيم والمعايير الأخلاقية:

يكتسب الطـفل القيم الأخلاقـية من الأبوين أو من يقوم مـقامـهما فى تربيـته، ولذلك تلعب القدوة الحسنة من الوالدين دورا هاما فى تكوين أخلاق الطفل وسلوكياته وعلاقـاته بالآخرين. . . ويـتوقف مدى اكـتسـاب الطفل لقيم الوالـدين على علاقـته العاطفية بهما. فإذا كان كل إعجابه واحترامه وحبه لهما نشأ مثلهما .

وإذا فشل الطفل فى أن يجد مثله الأعلى فى الوالدين، فهـو يتخذ مثلا أعلا من خارج الأسرة. . فإذا كان هذا المثل منحرفـا فقد ينحرف الطفل؛ ولذلك يجب أن نهيئ للطفل الفرصة فى أن يجد مثلا أعلى مناسبا فى محيط الأسرة والمدرسة.

ب- السيطرة على النفس والاتزان الانفعالى:

يعود الطفل على التحـكم فى انفعالاته حسب الظروف، فلا يتـمادى فى إظهار الغضب أو يبالغ فـى الشعور بالفرح أو الحزن، كـما يحسن أن يتحـمل بعض الحرمان بدون أن يضطرب، ومما يساعد الطفل على هذا العمل فى مرحلة الطفولة، أن يكون قد حصل على إشباع كاف فى مرحلة الطفولة المبكرة.

فالطفل الذى شعر بالاطمئنان والإشـباع العاطفى والحب من الوالدين أقدر على تحمل الحرمان عن الطفل المحروم. .

فاتزان الأم وتحكمـها فى انفعالاتهـا يعطى الطفل قدوة حسنة يقلدها فـيصل إلى الاتزان المطلوب.

ويجب أن يسـاعد الـطفل على أن يصل إلى المواقف التى قـد تكون مـصحـوبة بانفعالات إيجابية (مثل الفرح، السـرور، الحب، الفخر، الانتصار) فكلما تكررت هذه المواقف اكتسب الطفل اتزانا وقدرة على التحكم فى انفعالاته.

ويجب أن نتجنـب بقدر الإمكان المواقف التى تؤدى إلى انفـعالات سلبيـة (مثل الحزن: الغيرة، الغـضب، الكراهية، البكاء) فكلها انفعالات ضارة بالصحـة النفسية لو تكررت.

ج- الثقة بالنفس:

تنمـو الثقـة بالنفس مع إتقـان الطفل للمـهـارات المختلفـة التى تناسب قـدراته والواجب أن يهيأ للطفل التعـرض لتعلم أشياء جديدة كثيرة، ونشجـعه عند إتمامه عملا متقنا أو عـملا مفيـدا، وتجنب المقارنة بين الإخوة، فإنهـا تضعف الثقة بالنفـس، وتثير مشاعر الغيرة والكراهية.

د- الاعتماد على النفس:

يعود الطفل على أداء شئونه الخاصة بنفسه مثل عمليات النظافة، وترتيب أوراقه، وملابسـه، ولعبـه. . . إلخ، وإذا وجد الطفل صـعوبة فى أداء واجـبه المدرسى، فـقد تساعده الأم على فهم الموضوع، ولكن تتجنب كتابة الواجب له.

هـ- الانطلاق فى التعبير:

تتيح الأم الفرصة للأطفال لكى يعبروا عما يريدون أو ما يدور فى أنفسهم بطلاقة وصراحة، وذلك بتدبير الجلسات الهادئة يوميا، والكلام مع كل طفل عن مشاكله الخاصة على حدة لو أمكن، ولكن لو كانت الأسرة كبيرة العدد والأم كثيرة المشاغل فسيكون من الصعب عليها أن تمكن كل طفل من التعبير عن نفسه بمفرده... ولذلك: تساعد الجلسات الهادئة العائلية الجماعية على انطلاق الأطفال فى التعبير وعلى تكوين علاقات سليمة بين أفراد الأسرة.. والأطفال الأصغر سنا يعبرون عما فى نفوسهم باللعب والرسم.

و- الاختلاط بالمجتمع:

يشجع الطفل على الاختلاط بالأطفال الآخرين، وعلى تكوين صداقات مختلفة، وذلك بتهيئة المجال لهم، إما بالتزاور أو بالاشتراك فى أحد الأندية أو الجمعيات وتحاول أن تغرس فى نفس الطفل الصفات التى تجعله محبوبا من الآخرين، ويسهل عليه الاحتفاظ بالأصدقاء كصفات: التعاون، وتبادل الخدمات الصغيرة، وتبادل الهدايا، والطفل الذى استطاع أن يتخلص من أنانيته يشارك الآخرين شعورهم، ويهتم بأمرهم، وينصت إليهم باهتمام مما يزيدهم حبا له. والطفل الذى يشعر بالطمأنينة، والذى يعيش فى أسرة سعيدة متحابة يكون أقدر على الاهتمام بالمجتمع عن الطفل الذى يعانى اضطرابا نفسيا، ونشأ فى أسرة مفككة، متعددة الصراعات والخلافات.

ز- الدقة والإتقان فى الحركات والتعبير والعمل:

أثناء عملية التعليم يشجع الطفل على إتقان العمل مهما كلفه ذلك من جهد أو وقت، ولا يجب أن نعطى أى اهتمام بسرعة الأداء، لأنه يجب أن يتقن عمله أولا، ويكتسب السرعة تدريجيا مع التكرار.

ح- الطاعة:

يطيع الطفل الأبوين عادة لحبه لهما ورغبته فى كسب رضاهما وقبولهما، ولثقته فى حكمهما وسداد رأيهما، وثقته بوقوفهما بجانبه دائما.

فإذا توافرت هذه العلاقة بين الطفل ووالديه، كانت طاعتهما عليه سهلة وبدون مشاكل، أما الطاعة التى يرغم الطفل عليها بالشدة والعنف فهى إما أن تؤدى إلى تحطيم

شخصيــة الطفل وسلب إرادته، أو تؤدى إلى ثورة الطفل على سلطة الوالدين وانحراف سلوكه . . .

ط- حل المشكلات بطريقة إيجابية:

إذا قابلت الطفل مشكلة أو صــعوبة فيجب أن نعلمه كيف يفــهم جميع الظروف المحيطة بالمشكلة ونعوده على التفكير فى حل عــملى حتى يتغلب عليها، ونجنبه الحلول السلبية مثل الهروب من المشكلة بتجاهلهــا أو تركها بدون تفكير أو ترك المسائل معلقة، ويجب أن يدرك الطفل أن كل مجهود إيجابى لا بد أن يصل إلى ثمرة.

ى- التفكير الموضوعى:

تعود الطفل عــن طريق المناقشة وتبــادل الآراء أن يصدر أحكامــا موضوعــية عن الأعمال التى يراها بصرف النظر عن شعوره الذاتي، فــإذا رأى عملا ظالما- أى شخصا يظلم شخصــا آخر- فمن واجبه أن يحكم على هذا العــمل بأنه ظالم وخاطئ حتى إذا كــان الشخــص المظلوم مكروها من الطفل. فــالتــفكيــر الذاتى الموضــوعى يحكم على الأشياء حسب شعور الشخص بها وليس حسب الظروف الموضوعية للعمل، ويجب أن يتعلم ويدرك تماما أن كل مجهود وتفكير إيجابى لا بد أن يصل إلى ثمرة.

وأخيرا:

إذا اهتم الوالدان بمساعدة الطفل علــى الالتزام بالعادات الصحية والعــقلية الحسنة فسوف ينمو الطفل نموا جسميا ونفسيا سليما، ويستطيع التغلب على مشاكل الحياة التى تقابله مستقبلا بسهولة ويسر . . .

الفصل الثانى عشر

لماذا يخطئ الآباء... فى التنشئة النفسية للأبناء

المقدمة:

«حاول أن تدرب طفلك على المنهج الذى ينبغى عليه أن يسلكه فحين يصبح مسنا فسوف يظل متمسكا به».

هذا قول مأثور قاله أحد الخبراء فى تنشئة الأطفال، فهل هو صحيح، وهل يتمكن الآباء الصالحون من تنشئة أطفال أسوياء، لا يسببون لهم المعاناة والمتاعب فيما بعد.

والإجابة السليمة على هذا السؤال كثيرا ما تدعو إلى الشك فى تحقيق ذلك، فالآباء الصالحون الذين أعنيهم، هم هؤلاء الذين يأخذون الأمور بصفة جادة، ويتصفون بالعطف والذكاء، ويشغلون مكانة مرموقة، ومع ذلك فهؤلاء الآباء على الرغم من الاعتدال والحكمة التى يتصفون بها إلا أنهم كثيرا ما يحاولون التفكير فى البحث عن الأسباب التى أدت إلى اضطراب أطفالهم نفسيا.

فالابن الأنانى، والابن الثانى مضطرب السلوك، والثالث غير متكيف مع البيئة التى تحيط به، والرابع مهموم متكدر لا يتذوق للحياة طعما.

فيحاول الآباء دائما معرفة الدوافع التى ساقت إلى ظهور هذه الأعراض، وغالبا ما يتجه تفكيرهم إلى الاعتقاد أن ما حدث لأبنائهم كله نتجه خطأ اقترفوه فى التنشئة النفسية للطفل... ولذا كان من الأهمية بمكان البحث عن الإجابة الصحيحة على سؤال العائلة المهم وهو:

* لماذا لم يتمكن الآباء من تدريب الطفل على النهج الذى ينبغى عليه أن يسلكه؟

تبين من البحوث المختلفة فى هذا المجال أن الإجابة الصحيحة الواحدة بعد التحليل النهائى أن مصدر متاعب الآباء والأمهات مع أطفالهم هو أن أكثر الآباء والأمهات لم يصلوا بعد إلى المفهوم الدقيق والوعى التام الذى يمكنهم من التخلص من هذه المتاعب على طول المدى . . .

أسباب عدم توافر صلاحية الآباء:

١- إنهم يحملون أثر المعوقات التى كانت قائمة فى بيئتهم الشخصية والتى يتوارثونها من حيث الاستعداد النفسى .

٢- يحملون أثر الأخطاء والمفاهيم المتزمتة التى كانت سائدة فى عصرهم فالآباء كأى فرد غير معصومين من ضعف الإرادة، فظهور الآباء على حقيقتهم التى يحاولون إخفاءها أمام أطفالهم سوف يكشف حتما عن الكثير الذى كانوا يتمنون إخفاءه، كى يتجنبوا تأثيره على حياة أطفالهم إذا تمكنوا من ذلك.

٣- **عدم تمكين الآباء من إخفاء عيوبهم:** من الصواب أن نخفى عيوبنا التى تزعجنا بداخلنا دون أن تمس أطفالنا. . . ولكن لم يتمكن إنسان من ابتكار طريقة لاتباعها فى هذا المجال: مثال ذلك: عدوى خوف البالغين، فالأم التى تخاف من الكلاب أو الظلام، لا يتمكن أطفالها من التغلب على العدوى منها .

ويحدث نفس الشىء حين يخاف الآباء من الدخول فى أعمال جديدة أو حتى التفكير فى مغامرات جديدة. . فالحقائق توضح لنا أنه لا يوجد آباء مهما وصلوا إلى درجة كبيرة من الصلاحية لا يحملون بعض المخاوف غير المعتدلة. . مخاوف عميقة فى عقلهم غير الواعى مما يجعلهم غير مدركين وجودها، والأطفال مرتبطين بشعورهم بها.

٤- **أنانية الأب:** ليس من الغلو أن يقال أن الوالد كثيرا ما يسىء إلى ابنه، وأن المصاعب التى يعانيها طالب الجامعة أو المدرسة الثانوية، وتلميذ المدرسة الابتدائية، قد يكون مرجعها كلها أو معظمها إلى تصرفات الأب الخاطئة فى اندفاعاته بعامل الشفقة المجردة من التبصر والخالية من التفكير السوى . بل قد يكون الأب نفسه هو الذى يقلق على مستقبل ابنه دون أن يدرى . . وكلنا نعلم أن نية الأب نحو ابنه لا يمكن أن تخرج عن السعى فى توفير الخير، فى حاضره ومستقبله، هو فى هذا السبيل يصرف الكثير والقليل، مرهقا نفسه، وباذلا أقصى ما يمكن من عناء وجهد، حتى يطمئن آخر الأمر إلى أنه أدى واجبه نحو ابنه على الوجه الأكمل.

ولكن النية وحدها لا تكفى هنا، فإن هناك عاملا آخر يلعب دورا له خطورته، وهذا العامل الخطير هو أنانية الوالد.. نعم أنانيته وهى أنانية مجسمة ومقنعة فى آن واحد.. وكلما زاد جهل الوالد بالأصول الفكرية فى تربية ابنه عظم أثر هذا العامل وعم ضرره.

وليست مكانة الأب العلمية، ولا مركزه الاجتماعى بعاصم له من الوقوع فى هذا الشر ما دام يجهل أو يتجاهل المبادئ الأساسية فى التربية، وما دام هذا الجهل يقف حائلا بينه وبين ما يحب أن يضعه نصب عينيه مثل البدء فى تنفيذ أى خطة إزاء تنشئة ابنه التنشئة التى تكفل له الحصول على أكبر قدر من صحة الجسم والعقل والخلق.

٥- **أنانية الأم:** أما أنانية الأم فلا حاجة إلى الإفاضة فى الحديث عنها، لأن الأمثلة عليها متكررة كل يوم، وهى أكثر من أن تحصى كما أن لها على حاضر أبنائها وعلى مستقبلهم أثرا ملموسا، فكم من فرصة للنفع والإفادة أضاعتها الأم على ابنها بسبب أنانيتها القصيرة النظر... وكم من أم وقفت فى سبيل مستقبل ابنها لأنها لا تريده بعيدا عنها، تريده دائما إلى جانبها كأن فى البعد عنها قضاء عليها وعليه...

إن الأم فى هذه الأنانية الغاشمة المستبدة لا تعرف أين يكون الخير لابنها، إنها تريد له الخير بعاطفتها فقط، واهمة أن العاطفة هى المربى، تتمنى مثل هذه الأم أن يكون ابنها رجلا كامل الرجولة، ولكن جهودها فى هذا السبيل لا تتعدى الرغبة، ومتى حققت الرغبة وحدها غاية؟!.

والأم الحكيمة تستطيع أن تجعل من أبسط الأمور مجالا للتطبيق فى تربية أبنائها؛ فهى مثلا: تستطيع أن تبدأ بالسماح لهم بقضاء حاجتهم الخاصة مثل: ارتداء الحذاء أو خلع الملابس ووضعها فى مكانها الخاص بدلا من تركها للخدم أو لها هى ... وهكذا رويدا رويدا.. هذه الأعمال البسيطة فى مظهرها وأثرها فى نفس الطفل. إذ إن عن طريق الممارسة تتكون شخصية الإنسان وتظهر كفايته.. والواقع أن ما تشكو منه الآن من رخاوة السلوك، وعدم القدرة على الاعتماد على النفس، إنما غرست بذورها فى البيت.

غرسها الآباء والأمهات بعاطفتهم الساذجة إزاء أبنائهم، ورغبتهم فى توفير الراحة لهم كاملة. والطريق السوى:

هو أن يعلموهم مواجهة الحقائق كما هى، وكل حقيقة يواجهها الطفل كما هى مهما تكن بسيطة تافهة فى مظهرها، إنما هى كسب له وتدعيم لشخصيته، وسيرى الوالدان أن كل مشقة تتحملها عواطفهم فى سبيل هذه الغاية لا تحسب إذا قيست بنتائجها وهي: إعداد رجل سعيد لانسجامه مع نفسه أولا، ثم لقدرته على الانسجام مع بيئته ومجتمعه ثانيا، متمسك بمبادئه لإيمانه بها.

ولن يجدى فى تربية الشخصية أن يجد الطفل جميع رغباته تنفذ على الفور كما لن يشفع للوالدين حسن النية، وصدق الرغبة فى إسعاد أطفالهم، ولو أدركوا القيمة التربوية لسنوات الطفولة ومدى أثرها على تكوين شخصية الرجل الذى سوف يكون، لعرفوا أن العاطفة الساذجة وحدها لن تحقق رجلا.

٦- عدم تقبل الآباء اختلاف أبنائهم عنهم: إن الآباء يتعثرون كذلك فى أن يتقبلوا معارضة أطفالهم الذين يختلفون عنهم اختلافا بينا، يعتبرون هذا الاختلاف أمرا سيئا فكثيرا ما يرددون «ما أجمل أن يكون أطفالنا صورة حية مثلنا» لأنهم يعتقدون فى علم النفس السلوكى الذى يؤمن بأن الأطفال صفحات بيضاء تسطر عليها ما نروم ونهوى بالطريقة التى تروق لنا. . . وفى الحقيقة أن هذا المفهوم ليس صحيحا، إذا أصبحنا لا ندرك الآن جيدا أن الطفل كثير الشبه بآلة موسيقية مُعـدَّة للإيقاع، بالاشتراك بينه وبين والديه يمكن اللعب عليها حسب النغم المعد لها.

الوراثة واستعداد الطفل الأصلى:

فى هذه الأيام يضع الأطباء النفسيون والاجتماعيون والأخصائيون النفسيون اعتبارا كبيرا للوراثة إلى درجة تفوق الواقع، إذ إنهم يقررون أن طبيعة الطفل تحدد إلى حد كبير من أول لحظة الإخصاب، حين يتم اتحاد الخلايا الوراثية بعضها ببعض (الجينية) كما قال أحد الخبراء فى علم الوراثة . . **«استعداد الطفل الأصلى يأتى معه إلى العالم»**.

اختلاف الأطفال عن والديهم وعن بعضهم البعض:

ينبغى أن يدرك الآباء والأمهات جيدا أن أطفالهم لا يختلفون عنهم فقط بل يختلفون بعضهم عن بعض منذ ساعة ولادتهم . . وفى الحقيقة إذا ألقيت نظرة من نافذة إحدى دور الحضانة سوف نلاحظ أن الأطفال لا يتشابهون، فهم يختلفون فى : الحجم، والوزن، والطول، وشكل الرأس، ولون الجلد.

وحتى فى استجابتهم إلى العالم المحيط بهم:

فالبعض يظهر نشاطا، والآخر متكاسل، والبعض يصرخ بقوة، والآخر نادرا ما يصدر عنهم أى صوت. . .

فالأطفال بصفة عامة يختلفون فى سلوكهم، ويختلفون فى مقدار معارضتهم ويختلفون فى اتجاه معتقداتهم، ولا بد من هذا الاختلاف لأنه يقدر باختلاف الظروف التى تنشأ فيها والقدرات الموجودة لدى كل منهم.

الأباء ومواهب صغارهم:

إذا شاء الآباء لأبنائهم التميز ينبغى عليهم أن يتبينوا فى أى الاتجاهات تسير مواهب صغارهم وقدراتهم، وأن يعملوا على توفير الفرص الملائمة لهم التى تتيح لهذه المواهب والقدرات أن تنمو وتزدهر بغض النظر عن رغباتهم، فكثيرا ما نرى موهبة موسيقية أو فنية عند صبى قد وئدت لأن الوالدين يريدان أن يكون طبيبا أو مهندسا، ولأنهما يريان أن الفن كمهنة دون ما يرجوان لابنهما، فالوالدان حين يرغبان «التميز» لابنهما فإنهما كثيرا ما يقصدان هذا التميز، ولا يستطيعان إخراج نفسيهما من الصورة كلية.

٧- **صعوبة رؤية الأشياء من وجهة نظر الطفل:** على الرغم أنه ينبغى على الآباء تقبل الاختلاف الواضح فى هذا العالم الذى لا يشبه عالمهم الذى نشأوا فيه. . ومع ذلك فهم لا يستطيعون تقبل ذلك كاملا. . ففى أحسن الأوقات التى يكون فيها الهدوء سائدا يعانى الآباء من صعوبة رؤية الأمور من وجهة نظر الطفل. ويرجع ذلك إلى:

الحقيقة التى توضح أن السنوات قد أخفت الأخطاء والآلام التى كانوا يعانون منها فى طفولتهم وأظهرت فقط الذكريات السعيدة.

فمعظم الآباء لا يستطيعون تذكر كيف كان حالهم حين كانوا أطفالا، فيذكرون فقط الأشياء الجميلة، وتتلاشى المشاكل من ذاكرتهم فيرددون.

« لم نتجاوب بهذه الطريقة فى طفولتنا، ولا يمكن أن نكون فعلنا ذلك وطمره النسيان».

٨- **جهل الآباء بأسباب مخاوف الأطفال واضطراباتهم:** أثبتت الدراسات أن الآباء لا يستطيعون فى معظم الأحيان فهم أسباب المخاوف والاضطرابات التى تصيب أبناءهم ولذلك لا يستطيعون السيطرة عليها.

وقد قال أحد الخبراء «لا شك أن المشاكل الخارجية لها تأثير على الأطفال أيضا. كما تفعل مع الكبار، فالمرض، والوفاة فى محيط الأسرة أو الأزمات الاقتصادية، أو الانتقال إلى مكان آخر، وبلد آخر تعرض الطفل لمثل هذه التوترات وتؤثر على صحته النفسية فالأطفال يمكن أن يعانوا من صدمة ربما لا يكون لها تأثير على آبائهم، لكن يمكن أن تؤدى إلى صراعات داخلية أو اضطرابات نفسية لديهم.

فإنى أعرف طفلا كان يعانى من كابوس ليلى مستمر استمر لشهور من رؤيته «حادث عربة فى الطريق حيث قتل فيها طفل فى مثل سنه».

تأثير الضغوط النفسية على الطفل:

أحيانا يكون الطفل عليلا ضعيف البنية مما يؤثر على تحصيله الدراسى، إذ تكون الضغوط التى يعانيها مع أقرانه فى المدرسة أكثر من قوة احتماله.

أو قدوم طفل جديد فى وقت محنة معينة تعانى فيها الأسرة مما يصرف انتباههم عن مساعدة الطفل أو الطفلة الكبرى .

إنى أعرف طفلة فى الخامسة كان عليها أن تتحمل قدوم طفل جديد مع ضغط ذهابها لأول مرة إلى المدرسة، مضافا إلى ذلك ما كانت تعانيه من ضرورة ارتداء طوق نحاسى فى إحدى ساقيها بعد إصابتها بشلل الأطفال.

طرق تخفف التوتر بين الآباء وأطفالهم:

التخفف نعم لكن المنع لا، فلا توجد قاعدة لتغيير الطبيعة البشرية وجنوحها نحو الاستقلال، ومع ذلك لا يوجد آباء مهما بلغوا من الحكمة يستطيعون تجنب المتاعب التى يقابلونها مع هذه المخلوقات الصغيرة غير المتوقعة، والتى أعطيت لهم لحضانتها ورعايتها بواسطة حادث الولادة.

ومع ذلك : فهناك بعض الطرق التى تخفف من شدة التوتر بين الآباء وأبنائهم فيمكن تجنب هذه التوترات إذا حاول الآباء قبول الحقيقة التى تقول: «الطفل هو الطفل مخلوق بشرى يبدأ حياته، ثم ينمو، ويتعلم الكثير، وأمامه طريق طويل لتحقيق النضج الكامل من الناحية الجسمية والنفسية والعقلية. . . فلا يمكن للعقاب أو الثواب أن يفعلا شيئا للطفل إذا كان استعداده الداخلى لا يسمح بذلك، ولا يستطيع الآباء أن يرغموا الطفل على استكمال شىء ما لم يصل إلى درجة النمو فعلا».

خلاصة القول:

طفل الخامسة لا يستطيع عمل ما يفعله طفل التاسعة مهما كانت المحاولات فى سبيل ذلك، وخير ما يقال فى هذا المجال:

«أنه ينبغى أن يقول الطفل الصدق دائما، وأن يتكلم حين يطلب منه ذلك. ويتبع آداب المائدة حين يكون قادرا على ذلك...

وكذلك ينبغى كما أشرنا سابقا: على الآباء والأمهات أن يتقبلوا بدون تحفظ الحقيقة « إن أطفالهم ليسوا صورا طبق الأصل لأنفسهم، وأن يدركوا بأن ليس فى استطاعة أى والدين فى هذا العالم أن يشكلوهم بصورتهما، فالأطفال كائنات حية على صواب منذ البداية يشبهون أنفسهم ولا يشبهوننا».

وما ينبغى أن نفعله نحو أطفالنا هو:

أن نمهد لهم الطريق الذى يشعرون فيه بكيانهم، ونشعر نحن أيضا بذلك، وأن ندرك أن التهذيب شىء أعمق بكثير من العقاب والجزاء.

فى الحقيقة أنه يعنى وضع أطفالنا تحت سيطرة أنفسهم فيستطيعون استخدام أحسن صفاتهم، ويعنى أيضا إتاحة الفرصة لهم لاتخاذ القرارات وقبول نتائج اختبارهم.

فالتهذيب: يعطى أفضل نتيجة حين يصدر عن آباء مدركين لمواقع ضعفهم أنفسهم وعلى استعداد لإصلاحها والنجاح فى التغلب عليها.

ولذلك فمن الحكمة: حين يتدرب القلب يصاحب ذلك تدريب العقل والعاطفة والتفكير، إذ إن كثيرا من الآباء يفرضون على أطفالهم اتجاهات واسعة من المسئولية، لأنهم يتوقعون بصورة مبالغة فيها قدرة أطفالهم على استيعاب هذا الاتجاه، ولكن إذا كان فى قدرة الكلمات فقط أن تصلح من شأننا أو إذا كان فى إمكاننا تنفيذ الشىء بمجرد أنه قيل لنا، فإننا جميعا سوف نكون دائما على صواب فى تصرفاتنا. وهذا بعيد عن الواقع. ودوافع السلوك عند الطفل تشبه دوافع السلوك لدينا تماما، تنفذ أحيانا إلى القلب ولكن لا تصل إلى العقل.

والخلاصة:

لا يمكن إنكار أن الكارثة لـن تصيب أطفـالنا بالداخل وبالخـارج، ولا يسـتطيع الآباء بأى كمية من المعلومات أو الحكمة أن يطمئنوا بأن أبناءهم سوف يشبون باعتدال، وتنشئة الأطفـال ليست فى حدود معينة، ولا يستطيع أى شـخص أن يدرك بدقة سبب سير الأمور بصورة مختلفة.

ولكن ما ينبغى أن يفعله الآباء:

هو اتباع أفـضل ما لديهم من المعاملة، وأنه أقـرب إلى الحقيقـة القول أن الطفل سوف يكون بعيدا عن المتاعب: إذا أغدق والداه عليه الحب والحنان، وأبعداه عن التوتر النفسى . وإذا أشعراه بالسـعادة فى الحياة اليومية معه، وكـانا يملكان المهارة الكافية التى تساعـدهما على تحقـيق المقاييس التى تصل إلى درجـة التهـذيب، وإذا حاولا معـاملته كشخصهما فى احتمال التعرض للضعف والخطأ.

ولكن: تحركهمـا بأحلام واسعة، وتوقعهما الكثـير من الطفل فهذا لن يصل إلا إلى الكارثة.

وفى الوقت الحالى : يسعدنا أن الأطفال يبذلون مـا فى وسعهم فى محاولة تتبع المثل العليا التى يتحلى بها آباؤهم، فإذا لم يتـمكنوا من السير بدقة على الطريق المرسوم لهم، فهم ليسوا بعيدين عـنه، والممر الذى يقع بين طريق الوالدين وبين الطفل غالبا ما يكون يانعا مزدهرا لكلا الطرفين.

الجزء الثانى

« دار الحضانة.... والأسرة.. والصحة النفسية للطفل»

الفصل الثالث عشر

أهداف دار الحضانة... ورسالتها

تعتبر الطفـولة من أهم المراحل فى حياة الإنسان، إذ فيهـا يكون الطفل غضا من النواحى الجسـمية والعقليـة، والنفسية، والاجـتماعيـة، شديد القابلية للتـأثر بالعوامل المختلفة المحيطة به، الأمر الذى تبرز أهمية السنوات الخمس الأولى فى تكوين شخصيته بصورة تترك طابعها فيها طيلة حـياته، وتجعل تربيته فى هذه المرحلة أمرا يستحق العناية البالغة.

تعريف دار الحضانة:

دار الحضانة هى تلك المـؤسسة التربوية الاجتـماعية التى يلتـحق بها الأطفال فى سنوات الحضانة، أى فى السنوات الخمس الأولى من عمرهم، ليحظوا بقدر من الرعاية والتربية الحضانية الصالحة، بعض الوقت كل يوم، فهى بالمفهوم الذى تلتزم به، هى دور حضانة للأطفال الأسوياء كما أنها ليست للإقامة.

أهمية دور الحضانة:

من المعلوم أن الآباء والأمـهات يرسلون أبناءهم إلى المدارس ليـتعلمـوا ، وحتى بالنسبة لدور الحضانة التى أنشئت لرعاية الـطفولة بدلا من تركهم بالبيت خلال انشغال الأم فى العمل، وذلك للعمل على رعايتهم من عـبث العابثين أو من إهمال الشغالات أو توانى الجدات.

وتتخذ تربية الأطفال والعناية بهم صورا متعددة منها:

تنوير الآباء والأمهات بأصول التنشئة النفسيـة وأساليب توفير الصحة النفسية له.
ومنهـا : تنظيم الخدمـات الصحـية التى تضطلع بهـا الدولة. . ومنهـا أيضا الاهتـمام بالمؤسسات التى تقوم على تعليم الصغار مثل دور الحضانة.

لقد شهدت الحقـبة الأخيرة بالفعل تحمسا أشـد من ذى قبل لإنشاء دور الحضانة وتقدما ملموسا فى الإكثار منها ونشرها.

دار الحضانة ضرورة للتغيير الجذرى فى محيط الأسرة:

الواقع أن دور الحضانة أصبح ينظر إليها الآن كضرورة من ضروريات الحياة فى المجتمع الحديث، فهى نظام منبثق من التفرع الوظيفى لنظام الأسرة، أوجدته ظروف التغير الجذرى الذى حدث فى محيطها، فأثر فى بنائها ووظائفها وذلك انعكاسا لتغيرات مجتمعية واسعة المدى حدثت فى المجتمع عامة.. وأثرت فى بنائه ونظمه.

التغيرات الجذرية الأسرية والعامة:

١- أصبحت الأسرة فردية أو ازدواجية. أى مقصورة على الزوج والزوجة والأطفال، فلا يقيم معهم أم الزوجة أو أم الزوج أو أختها أو أخته.

٢- خروج المرأة وخاصة الأم من بيتها للانشغال فى أى عمل من الأعمال الكثيرة التى أصبحت متاحة لها وجاذبة إليها والتى نجمت عما حدث فى المجتمع من تغيرات اقتصادية ، وأخلاقية ، وسياسية ، ومعرفية، وتكنولوجية.

٣- عجز الأسرة أو قصورها... وبخاصة تلك التى تخرج فيها الأم للعمل، لرعاية أطفالها الذين ما زالوا فى سنوات الحضانة وتنشئتهم تنشئة اجتماعية سليمة.

٤- الاعتراف فى نطاق واسع بأن الأطفال غرس المجتمع الذى يرجى له النماء والازدهار ، وطرح أوفر الثمار وأطيبها وأنهم أعمدة المجتمع، التى كلما قويت وتدعمت منذ البداية، أمكنها فيما بعد حمل الصرح الاجتماعى مهما ثقلت أعباؤه، وتضخمت مسئولياته.

٥- تغير الاعتقاد بأن الطفولة المبكرة مرحلة قصيرة المدى ، أو أن نمو الطفل فيها عملية تلقائية سهلة ومبسطة؛ لأنها فترة البراءة والسذاجة الخالية من اى تعقيد، وقد أثبت العلم الحديث خطأ هذا الاعتقاد، وبين أن تربية الطفل فى سنوات الحضانة عملية صعبة ومعقدة... وأن حاجات النمو متشعبة ودقيقة، إذ إنها ذات أبعاد جسمية ونفسية وعقلية واجتماعية.

نتائج هذه التغيرات:

١- ظهور دور الحضانة وانتشارها تدريجيا، لكى تعاون الأسرة فى أداء وظيفتها ذات الأهمية البالغة، وخاصة أننا أصبحنا فى زمن يحترم التخصص ،

وتقسيم العمل، ويأخذ بهاتين الظاهرتين فيه أساسا للتنظيم الاجتماعى وفقا للمبدأ القائل: «من انقطع لعمل أجاده».

٢- نظرة الأمهات إلى دور الحضانة على أنها الهيئة المتخصصة والمتفرعة، التى يتوافر لها الإمكانيات ما يجعلها أقدر على رعاية أطفالهم، وحمايتهم وإعدادهم الإعداد الصالح للمراحل التالية.

٣- اهتمام مكتب العمل الدولى بمسألة ظهور وانتشار دور الحضانة، واعتبارها من المسائل الأساسية الواجب العناية بها، فيجعلها هدف استقصاءات قومية فى كثير من الدول الأعضاء بغية التعرف على تيسره من رعاية الأطفال فى سنوات الحضانة.

وقد نشرت عام ١٩٥١ نتائج الاستقصاء يكاد يكون شاملا تبين منها أن دور الحضانة نمت نموا سريعا فى كثير من الدول أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعدها وبخاصة فى : إستراليا ، وكندا، وبريطانيا، وبلجيكا، وبلغاريا، وتشيكوسلوفاكيا، والدانمارك، وفرنسا، والمكسيك ، وبولندا.

أسباب نمو دور الحضانة هذا النمو السريع:

- لتيسير اشتغال الأمهات فى أعمال ذات أهمية قومية.
- كفاءة المرأة العاملة مرتبطة إلى درجة كبيرة لطمأنتها على رعاية طفلها.
- دور الحضانة الصالحة هى التى تستطيع توفير الرعاية الحضانية الصالحة.

أ- أهداف دار الحضانة ورسالتها:

تتضح أهمية دار الحضانة وضرورتها من تعدد الأهداف التى تعمل على تحقيقها، والتى يمكن أن نجملها فى ثلاثة أهداف:

١- صالح الأطفال أنفسهم.

٢- صالح الأمهات.

٣- صالح المجتمع الذى يعيشون فيه.

١- صالح الأطفال أنفسهم:

دار الحضانة إذ تعنى بالأطفال فى سنوات الحضانة، أى تضطلع بمسئولية كبرى شديدة الخطر فى المجتمع عامة. . وذلك لأنه أصبح من الثابت ، وبإجماع آراء العلماء:

١- إن سنوات الحضانة ذات أهمية بالغة فى تحديد الملامح الرئيسية فى شخصية الفرد.

٢- أنها القاعدة الوطيدة لبناء صرح المجتمع ؛ لأن أطفال اليوم هم شبان الغد، ورجال المستقبل ونساؤه، وهم أغلى ثروة تمتلكها الدولة.

٣- لذلك: فإن تنشئة أطفال أصحاء من النواحى الجسمية، والنفسية، والعقلية ، والاجتماعية، والخلقية، واجب على كل المجتمع ممثلا فى شتى هيئاته.

إذن مهمة دار الحضانة لصالح الأطفال هي:

١- تعوض الأطفال عن الأسرة، والتى أصبح فى غير إمكانها أن تظل مع الطفل اليوم كله، وتعوض الطفل عن الحب الذى يفتقده بضع ساعات فى اليوم، مقابل ماذا؟ مقابل حب من لون آخر لا بد أن يدرب عليه، ويحسه ، ويستمتع به.

٢- توفير مكان آخر للطفل غير المنزل ، وأفراد غير الأسرة، يدخلون على نفسه السعادة؛ لأن الأسرة والبيت ليسا كل شىء، هناك مجتمع آخر لابد أن يتعرف عليه، ويخالطه فيه لون آخر من ألوان الحياة، ومواجهة المجتمع. وهذه تجربة الطفل على الكثير من:

* مواجهة المجتمع، والتغلب على الفردية، وطرد الخجل.
* الاعتماد على النفس، والثقة فيها، والفهم المبدئى لمسألة الحرية.
* يحس الطفل أن كل ما يطلب ليس شرطا أن يستجاب . قد يحاول البيت تلبية أغلب طلباته.
* يتعلم أن الحرية تقف عند حرية زميله.

* يتعلم الملكية الفردية، واحترام ملكية الغير، هذا له، وهذا ليس له، فيستطيع أن يأخذ ما له، ولا يأخذ ما ليس له، وهذا تدريب على فهم الحق والواجب.

٣- إثارة ذهن الطفل، وتحفزه التفكير:

فالبيت محدود بجدرانه وأثاثه بالأبوين. أما دار الحضانة ، فرحبة، رحبة بفنائها، وبأثاثها البسيط. فيها فرصة لاكتشاف عوالم أخرى ، فسيحة ، واسعة ، متغيرة، متعددة.

٤- تدريب الطفل على الإحساس بالزمن:

الحضانة تدرب الطفل على الإحساس بالزمن، صحيح أنه ليس هناك جدول حصص بالساعات، لكن الطفل يشعر، يحس بأن هناك حصصا، إن لكل شيء وقته فهناك وقت للموسيقى ، ووقت للحديقة، ووقت للعب. .

أما المنزل : فليس فيه ذلك ، ليس للزمن حدود قد يكون الحد الوحيد له الليل والنهار، وقضاء الوقت ليس له نظام.

٥- زيادة الحصيلة اللغوية للطفل:

إن مشاركة الطفل فى دار الحضانة تزيد من الحصيلة اللغوية للأطفال . وتجعلهم يتبادلون الكلمات التى يستطيعون استخدامها، والتقاطها أثناء احتكاك بعضهم ببعض. عبارات وجمل تجعلهم أقدر على الكلام مما لو استمروا بالمنزل مع الجدة أو المربين. وهؤلاء يكلمونهم بلغة أكبر من لغتهم.

٦- تعليم الأطفال العادات الصحية السليمة:

فتخطط أوجه النشاط التى تهدف إلى تقوية وتسهيل استعمال العضلات الكبيرة، والصغيرة، وتحقيق تناسقها، وبناء أجسام قوية سليمة.

٧- توجيه الطفل، وإتاحة الفرصة له كى يمارس ويستمتع بخبرة التعامل مع الآخرين:

من هم فى سنه أو أصغر أو أكبر منه، فهى تهيئ له فرصا متعددة لمشاركتهم والتعاون معهم، وتساعده على أن يتعلم متى وكيف يعمل ذلك.

٨- تدريب الطفل على التفكير المنطقى: والاعتماد على النفس، وتحمل المسئولية، واحترام الحرية الفردية.

٩- العناية بتنمية شخصية الطفل وتوجيه ميوله: واتجاهاته، ومفاهيمه، ومعتقداته التى ستعينه على أن يصبح فردا سعيدا، آمنا، منتجا فى المجتمع الذى هو عضو فيه.

وأخيرا: لتحقيق هذه الأهداف فى دار الحضانة

يجب أن يتوفر جو يسوده الدفء العاطفى ، والمحبة ، والهدوء، كى يستطيع الطفل أن ينشأ مواطنا صالحا حاليا، ومستقبلا.

٢- صالح الأمهات:

دار الحضانة إذ ترى الأطفال الصغار وتعمل لصالحهم ، إنها تهدف أيضا فى الوقت نفسه إلى صالح الأمهات، وذلك:

* بالتعاون معهن فى تربية الأطفال، وتنشئتهم الاجتماعية.
* تتيح لهن الفرصة ليتحررن من أعباء ومتاعب الانشغال بالأطفال فترة من النهار.
* تتيح لهن الفرصة للخروج للعمل والكسب أو التفرغ لأعمالهن المنزلية وإدارتها .
* الإحساس بالاطمئنان والراحة النفسية بأن أبناءهن فى مكان أمين، وبين أيد تعمل على توفير الصحة النفسية والجسمية لهم، الأمر الذى يؤدى إلى اتجاه الأمهات إلى العمل والإنتاج المثمر فى مواقع عملهن.

٣- صالح المجتمع:

إن دار الحضانة تعمل لصالح المجتمع من وجوه أخرى كثيرة:

١- مايتعلق بالأطفال:

من حيث تنشئتهم ، وتشكيلهم وفق الصورة التى تتصورها الدولة للمواطن الصالح، لكى ينسجم سلوكهم مع القيم السائدة التى تتمسك بها، عندما يكبرون، ويشبون عن الطوق، ويصبحون من حملة مبادئها، والمقتنعين بسياستها .

٢- أما من ناحية الأمهات:

فإن دار الحضانة تتيح لهن الفرصة ليكن قوة عاملة مساهمة فى الإنتاج القومى ، ومشاركة لقوة الرجال فى رفع مستوى المعيشة، وتمكين الدولة من تحقيق غاياتها لرفاهية المواطنين.

ب- رسالة دار الحضانة:

تقوم رسالة دار الحضانة على توفير عاملين أساسيين:

١- تهيئة البيئة الصالحة.

٢- توفير الهيئة المشرقة من المتخصصات المتفرغات لتربية الأطفال ورعايتهم.

أهمية تهيئة البيئة الصالحة، وتوفير الهيئة المتخصصة لتربية الأطفال ورعايتهم.

١- **المعروف أن البيئة الصالحة** المستوفية لشروط الحياة الصحيحة والغنية بالحوافز، ومثيرات النشاط الجسمى والعقلى ، من تجهيزات مناسبة، وأدوات متنوعة، ولعب مختلفة، وخامات لا يمكن أن تتوافر فى الأسرة ، كل ذلك يساعد الطفل بإرشاد المشرفات عليه، والعارفات بنفسيته على أن ينمو فى الاتجاه السليم.

٢- **تحقق دار الحضانة للطفل** الكثير من حاجاته التى يمكن أن تحققها له أسرته:

وتلك التى لا يمكن أن تحققها له؛ وذلك لأن دار الحضانة ليست فقط امتدادا لحياة الطفل فى المنزل ، بل إنها أيضا تحسين لها وإضافة إليها.

٣- تعمل دار الحضانة على تصحيح كثير من الأخطاء التربوية التى يقع فيها الوالدان لسبب أو لآخر بدون قصد.

٤- تعوض الطفل عما يحرم منه بالضرورة بطبيعة حياته فى بيئته المنزلية. فكل طفل فى كل بيت، وحتى فى البيوت المقتدرة، يعانى قدرا من الحرمان، والتوتر، والضجر لأنه يعيش فى بيئه أكثر ملاءمة لحياة الكبار منها لحياة الصغار.

مظاهر البيئة التى لا تلائم الصغار:

أ- بيئة بعيدة بعدا كبيرا عن الطفولة ومتطلباتها.

ب- بيئة محرماتها كثيرة، وقيودها أكثر، ومعظم أثاثها ، وأدواتها ، وتجهيزاتها، ومعداتها لا تخصه، ولا تتناسب مع حجمه، وقوته الجسمية وسرعته الحركية.

ج- بيئة لا تسير الأمور فيها بحرفية تبعا لرغبته، وفق سرعته الخاصة، بل تسير بسرعة الكبار، وضغطهم عليه، واستعجالهم إياه.

ولذلك كله فهى تعرقل بالضرورة ، وإلى حد لا يستهان به شغف الطفل بالتعلم، والكشف ، وولعه بالانطلاق ، والحرية فى نشاطه ولعبه.

٥- تستطيع دار الحضانة أن تكمل النقص الذى يعانى منه فى بيئته المنزلية:

تطلق سراحه من دنيا الكبار بقيودها، ومحرماتها ، ومعوقاتها، وتنقله إلى عالم ودنيا الصغار السعيدة التى أنشأتها خصيصا له، وأعدتها من حيث هندسة بنائها، وتصميم أثاثها، ومعداتها، وأجهزتها واختيار لعبها، ومواد النشاط فيها، وتنظيم سير الأمور يوميا فيها. لقد أعدتها من حيث ذلك كله، إعدادا يتفق مع رغباته وميوله ويتناسب مع إمكانياته وحدود طاقته.

٦- تتجه دار الحضانة الصالحة إلى توفير الظروف الملائمة لتحقيق حاجات الطفل ونموه:

ففيها يجد الطفل الفضاء الرحب، والشمس والهواء الطلق، والنظافة، والنظام، والغذاء الصالح المنظم، واللعب، والرياضة.

كما يجد الراحة الكافية، والحماية من أخطار الحوادث والأذى الذى يمكن أن يلحقه بنفسه أو يلحقه بغيره.

٧- تنمو طاقات الطفل فى دار الحضانة، وتنطلق قدراته، وتتفتح إمكانياته وتدعم بحق تنشئته الاجتماعية:

وذلك لأنه يعيش فى رحاب (دنيا الصغار) التى تخلقها له دار الحضانة حيث يعيش الطفل شطرا من يومه فى بيئة هو محورها، وأهم جزء فيها كما يقضى وقته فى وسط صحي، جذاب ، مريح، تدعمه الحوافز ومثيرات النشاط التى توافرت خصيصا لإشباع حاجاته، وبرعاية المشرفات عليه المؤهلات لتربيته والمتفرغات للعمل معه.

الفصل الرابع عشر

دور الوالدين لإعداد الطفل نفسيا لالتحاق بدار الحضانة

يعد اليوم الأول من العام الدراسى يوما مهما فى حياة فئة معينة من العائلات هذه الفئة من العائلات، تصبح شغلها الشاغل التفكير فى التغلب على الصعوبات التى سيلاقونها عند ذهاب الطفل إلى المدرسة لأول مرة.

١- كيفية إعداد الطفل للفطام النفسى من البيت:

انفصال الطفل من البيت بقصد الذهاب إلى دار الحضانة شبيه من الناحية النفسية بفطامه من الثدى . .

ولكى تتم فى غير إرهاق، وفى غير قسوة، يجب أن يمر الطفل فيها تدريجيا، إلى أن ينتهى الأمر إلى الفطام الكامل، أى الاستغناء التام عن الشدى والانصراف إلى تناول الأطعمة الخارجية فى كوب أو ملعقة.

٢- أنواع استجابات الأطفال نفسيا عند الالتحاق بدار الحضانة:

يمكننا أن نلقى نظرة إلى أصغر الأطفال المبتدئين فإذا بنا نرى طفلا ذهب إلى دار الحضانة لأول مرة، وقد استطاع أن يتقبل الأمر الواقع فى غير عنف أو تألم. وهذا الطفل يمثل الأغلبية.

ثم ننتقل إلى طفل آخر يتألم لحزنه وثورته. ولكن هذا الحزن أو تلك الثورة سرعان ما تنقضى ويتفاوت الأطفال هنا:

* بعضهم ينهى حزنه أو ألمه بانتهاء اليوم الدراسى الأول.

* وبعضهم الآخر يتغلب على قسوة الموقف فى شىء من البطء خلال فترة تمتد إلى أسبوعين وأحيانا أكثر.

* هناك طفل ثالث ينبئ سلوكه عن قصور قدرته على تقبل الأمر الواقع وفشله فى ذلك. مثل هذا الطفل تراه شاردا حزينا، وتارة أخرى ثائرا على فكرة الانفصال عن البيت بقصد الذهاب إلى دار الحضانة.

* وقد يبقى الطفل على هذا الحال عدة أسابيع وأحيانا بضعة شهور. فيظل فيها كارها لدار الحضانة وكل ما يتصل بها.

* هناك طفل يصر على بقاء الأم بجانبه فى بادئ الأمر فيجب أن لا ترفض الطلب حتى لو نصحت مشرفة الحضانة بذلك.

* وأحيانا قد يستمر بكاء الطفل ورفضه الافتراق عن الأم فى الأيام التالية وفى هذه الحالة قد يكون من الأفضل أن يتولى الأب اصطحابه لدار الحضانة إذ إن التوتر الناجم عن افتراقه عن الأم أقل شدة إذا حدث الافتراق فى المنزل وليس على باب دار الحضانة.

وأيما كان الحال:

١- تقبل الطفل لدار الحضانة أسرع وأقل صعوبة إذا كان قد تعود على اللعب مع الأطفال الآخرين، ومشاركتهم فى لعبهم.

٢- تقل رهبة الطفل ويزداد استعداده تدريجيا للذهاب لدار الحضانة حيث إن معظم الأطفال يتوقفون عن البكاء بعد رحيل الأم أو الأب.

٣- من المتبع فى الدول الغربية أن تتصل دار الحضانة بالأم، وتطلب منها محادثة طفلها، إذا لاحظت استمرار توتره، وانطوائه الشديد، وكثيرا ما تنجح تلك الوسيلة فى تهدئة الطفل واطمئنانه لعلمه أن أمه مازالت قريبة منه، ويمكنه الاتصال بها.

٣- ما يتبع فى حالة رفض الطفل الذهاب إلى دار الحضانة:

بعض الأطفال قد يرفضون فجأة بدون مقدمات الذهاب إلى دار الحضانة بعد أن يكونوا قد انتظموا فيها وأحبوها. وتجاهل الأبوين لهذا الخوف دون الكشف عن أسبابه، وإرغام الطفل على الذهاب لن يؤدى إلا إلى زيادة خوفه، واضطرابه وإحساسه بالغثيان والتقيؤ.

أ- معرفة الأسباب ضرورية:

من الأفضل فى هذه الحالة أن لا ترسل الأم الطفل لدار الحضانة ليوم أو يومين تعمل خلالهما على التقصى عن الأسباب التى أدت إلى خوفه ورفضه الذهاب إليها.

كثيرا ما يكون السبب فى توتر الطفل هو:

* خشونة بعض الأطفال الآخرين فى التعامل معه أو طريقة تعامل مشرفة الحضانة معه أو: لانعدام ثقة الطفل فى نفسه، وعجزه عن إنشاء صداقات مع الأطفال الآخرين أو عدم تقبل الأطفال له لسبب أو لآخر.

* وجود أحد الوالدين على باب المدرسة عند انتهاء اليوم الدراسى : يجب أن تتأكد الأم أو الأب من وجود واحد منهما على باب المدرسة عند انتهاء اليوم الدراسى لمقابلة الطفل، ولا يجوز ترك هذه المهمة لأى شخص آخر، وخاصة خلال الأسابيع الأولى أو الشهور الأولى.

٤- أسباب رفض الطفل الذهاب إلى دار الحضانة:

يعلل أطباء النفس رفض ذهاب الطفل لدار الحضانة بأنه قد يكون ناجما عن تجارب سابقة أليمة للطفل:

* كافتراق الطفل عن الأم لفترة.

* نتيجة للغيرة من أخت أو أخ أصغر منه .

* عندما يكون المناخ العائلى مشحونا بالنزاع والشقاق.

* خوف الطفل من حدوث كارثة بين الأم والأب أثناء وجوده فى دار الحضانة.

* يكون الرفض ناجما عن أحداث وتجارب نفسية مترسبة فى عقل الطفل الباطن أو ذهابه لدار الحضانة هو الذى يعجل بإبراز هذه الإحساسات.

وعادة تظهر هذه الإحساسات بعد أن يكون الطفل أظهر حبه لدار الحضانة أو أمضى بها فترة طويلة سعيدة.

وفى هذه الحالة قد يلقى الطفل اللوم على مشرفة الحضانة ليبرر رفضه للذهاب أو يدعى المرض، أو يرتد لحالة الطفولة المبكرة وسلوكها إذا استمر توتره دون تقصى أسبابه وإزالتها.

٥- دور دار الحضانة لتحقيق الفطام النفسي للطفل من البيت:

الطفل الصغير فى البيت فى جو خاص به: كله أمن، وطمأنينة وعطف، وتفاهم متبادل، من أجله يتعاون الوالدان على تهيئة هذا الجو له لأنه حق من حقوقه بل وشرط من الشروط الأساسية التى تنهض بالطفل نهوضا شاملا وتساعد على تقدمه فى النواحى الجسمية والنفسية معا وفى نفس الوقت .

وفيما يلى دور دار الحضانة لتحقيق الفطام النفسى للطفل من البيت:

أ- تهيئة جو يماثل جو البيت:

وظيفة دار الحضانة بالنسبة للطفل المبتدئ الذى التحق بها حديثا لا يختلف عن وظيفة الأسرة بالنسبة لحقوقه.

الهدف الأول من دار الحضانة فى ذلك الوقت هو أن تهيئ للطفل جوا يماثل جو البيت بقدر المستطاع الجو الذى كان يتمتع به فى البيت.

فمهمة مشرفة الحضانة وقتئذ أن تبدأ باستقباله والترحيب بقدومه، وتشعره من يوم إلى يوم بأهميته كفرد مستقل مما يخفف من شعوره بالقلق، وإحساسه بأنه ضائع وسط المجموعة الكبيرة، وذلك بسبب انفصاله عن البيئة الأسرية الآمنة المعنية بشئونه إلى بيئة أخرى جديدة تختلف اختلافا بينا عن البيئة الأولى من حيث المكان، والزيادة فى الالتزامات والنقص فى الحقوق.

ب- التعرف على طبيعة الطفل:

من هنا كانت أهمية مشرفة الحضانة المسئولة عن مجموعة معينة من الأطفال تقوم عندهم مقام الأم فى البيت، فتقبل على كل طفل على حدة فتتعرف على طبيعته المزاجية، ومقدار استعداده للاندماج فى الجو المدرسى . . وهى تستطيع أن تقرأ على وجوه الأطفال، وتترجم الكثير من حديثهم، ومن سلوكهم إلى ما يعينها إلى معرفته، وما ينقص كل منهم من الحاجات النفسية التى يتمتع بها فى البيت وهو مقيم بين والديه.

هذا الدور المهم لمشرفة الحضانة سوف يستغرق وقتا ليس بقصير، الأمر الذى يمهد إلى شعور الطفل بالأمن والاستقرار بدار الحضانة.

ج- مقابلة الأم لمشرفة الحضانة:

ومما يعين مشرفة الحضانة على القيام بدورها المهم، أن تزور الأم دار الحضانة لتقابل المشرفة التى تراعى طفلها كى يتبادلا معا بعض الملاحظات التى تحقق السبيل لكل منهما بخصوص معاملة الطفل، والوقوف على مدى يقظته وقدرته على الانسجام والتعاون مع أقرانه.

٦- تكيف الطفل للبيئة الجديدة:

الطفل خلال هذه الفترة يعمل على أن يتكيف مع البيئة الجديدة، فنراه يحاول أن ينسجم مع أكبر عدد ممكن من الزملاء، ويصاحب بعضهم، ويطيب له أن يلعب مع فلان، ويرفض الاشتراك مع زميل آخر. وهنا يمارس الطفل عمليات مستمرة من أساليب التكيف ليحظى برضى مشرفة الحضانة التى تشغل مكان الأم عنده، ليتمتع بالتوفيق والاندماج مع زملائه فتهدأ نفسيته وتطيب له الحياة مع البيئة الجديدة نوعا ما.

٧- مؤشرات اكتساب الطفل عادات ذهنية واجتماعية ملحوظة:

الطفل الذى يلحق حديثا بدار الحضانة، ثم يغدو فى سلوكه أنه قد اكتسب عادات ذهنية واجتماعية ملحوظة يجب أن يفسر هذا الكسب بأنه دليل مادى على نجاح مشرفة الحضانة فى أداء مهمتها نحو الطفل.

هذا الدليل المادى يظهر فى صور مختلفة مثل:

اليقظة الذهنية التى تجعله يشعر بما حوله، ويحس إحساسا واعيا لما يحيط به، والتنبه بحقوق الغير.. وما إلى ذلك من عوامل جوهرية فى بناء الشخصية لابد أن توفر للطفل حتى يستطيع بعد ذلك الإفادة من التحصيل العلمى والإقبال على تعلم المواد الدراسية والتفوق فيها مستقبلا.

المشكلات التى يتعرض لها الطفل عند التحاقه بدار الحضانة:

يتعرض الطفل أحيانا لبعض المواقف الاجتماعية التى تسبب له صعوبات من نوع آخر. وهذه الصعوبات من شأنها أن تضايقه وتسبب له شعوره بعدم السعادة فترة من الزمن، إلا أنه سرعان ما يعود نفسه التغلب على هذه الصعوبات ليتمكن من التلازم مع المجموعة التى ينتمى إليها. إذ يتعذر من غير هذه الملاءمة مواصلة الدراسة.

ولا شك أن هذه الملاءمة الجديدة تكسبه خيـره تساعده على الحياة خارج جدران دارالحضانة.

ومن بين هذه المشكلات التى يصادفها الطفل عند التحاقه بالمدرسة ما يلى:

١- الشعور بالعزلة وبالحرج

يشعر الطـفل عند التحاقه بالمدرسـة لأول مرة أو عند التحاقه بمـدرسة جديدة أنه شخص منعزل، غير معروف، وينظر الأطفـال إليه نظرة تدل على الدهشة والاستفسار، وتحيطـه هذه النظرات أينما يتـحرك .... وهو لذلك يشـعر بالحـرج وعدم السـعادة، وبالرغبة فى الهروب من الموقف، فمركزه وسط المجموعة الجديدة يشعره بأنه مهدد.

وقد يترتب على هذه النظرات والاسـتفهامات المتبـادلة بين الطفل الجديد وقرنائه بالمدرسة، منازعات تأخذ شكل الشجار، أو تبـادل الألفاظ النابية. وفى غالب الأحيان يقوم الطفل الجديد بتلك الاستجابات العدوانية ليثبت وجوده وسط الجماعة الجديدة.

فإذا كان لديه من الوسائل الجـسمية أو المادية ما يجعله يفـوز بالغلبة ثبت مركزه وسط الجماعة، ودون أن يكون هدفا للنقد أو التجريح . أما إذا كان ضعيفا لا حول له ولا قوة غلب على أمـره.. وهو بين هذا وذاك يفضل إما الانطواء على نفسـه أو السير فى الركب تائها لا حول له ولا قوة.

٢- صعوبة الاندماج للفروق الطبقية:

ولما كانت دور الحـضانة، وكذلك مـدارس المرحلة الأولى تتضـمن مجمـوعات متفاوتة من أبناء الشعب، فمنهم من أتى من أسـر فقيرة، ومنهم أبناء الأسر الغنية ذات التقاليد والألقاب. فلا شك أن اختلاط أبناء الطبقـتين يعرض أبناء الطبقة الفقيرة لبعض الصعوبات التى تحول بينهم وبين الاندماج مع غيـرهم ممن دون مستواهم الاجتماعى إلا أنهم يجدون صعـوبة من أسرتهم التى تحذرهم دائما من الاخـتلاط بهم أو دعوتهم إلى المنزل أو الاشتراك معهم فى ألعابهم.

٣- عدم القدرة على المقاومة والتنافس لزيادة الحماية المنزلية:

وهناك مشكلة ثالثة يتعرض لها بعض الأطفال عند الـتحاقهم بدار الحضانة أقصد بذلك تلك الفئة من الأطفال الذين تربوا تربية خاصة، تربية تقوم على الحماية والرعاية البالغة.

إن أمثال هؤلاء 'الأطفال يكونون فى العادة ذوى نعومة ورقة، وحساسية شديدة؛ لذلك نجدهم لا يقدرون على المقاومة والتنافس فى دار الحضانة. أو المدرسة أو رد العدوان، أو حماية أنفسهم مما يقع عليهم من إيذاء.

ويتميز سلوك هؤلاء الأطفال - بالإضافة إلى ما سبق - بأنهم ينتحلون المحاذير كثيرا، ويظهرون من الضجر والتأفف وعدم الرضا لكل شيء حولهم. فنجدهم يشتكون من دورات المياه بدار الحضانة. ومن وسائل الشرب، ومن مواعيد تقديم الطعام. كما يرفضون خلع ملابسهم أثناء دروس النشاط. . . . إلخ.

٤- الاختلاف فى العادات والأجناس:

وهناك بعض العوامل الأخرى التى لا تظهر فى بيئتنا العربية ولكنها تكون واضحة فى البيئات الأجنبية، ففى المدرسة الأمريكية مثلا: هناك مشكلة الأطفال الملونين، والأطفال المهاجرين، والأطفال ذوى الأديان غير المنتشرة أن كل هذه العوامل تؤثر على الطفل عند التحاقه بدار الحضانة.

فالطفل «الأسود اللون» فى مجموعة من الأطفال البيض لا يشعر بالسعادة.

والطفل المهاجر من القارة الأوربية إلى أمريكا تحول اللغة بينه وبين التفاهم والتعبير عن مطالبه.

الطفل اليهودى : فى بيئة مسيحية يكون هدفا للنقد والسخرية عندما يمارس بعض عاداته، وتقاليده التى تتصل بالأكل مثلا.

مما سبق : اتضحت المشكلات التى يتعرض لها الطفل عند التحاقه بدار الحضانة. . ويمكن مساعدة الطفل على التغلب على هذه المشكلات؛ وذلك بقيام الوالدين بدورهما من ناحية إعداد طفلهما نفسيا للالتحاق بدار الحضانة.

وكذلك قيام مشرفه الحضانة بدورها نحو الطفل الحديث الالتحاق بدار الحضانة.

فإذا استطاع كل من الوالدين، ومشرفه الحضانة من القيام بدورهما على الوجه الأكمل، سوف يستطيع الطفل التغلب على مشاكله بسهولة وفى أقصر وقت ممكن.

الفصل الخامس عشر

دور مشرفة الحضانة نحو الطفل حديث الالتحاق بها

للطفل الصغير فى البيت جو خاص به، كله أمن وطمأنينة وعطف وتفاهم متبادل من أجله يتعاون الوالدان على تهيئة هذا الجو لأنه حق من حقوقه، بل وشرط من الشروط الأساسية التى تنهض بالطفل نهوضا شاملا، وتساعد على تقدمه فى النواحى الجسمية والذهنية والنفسية معا وفى نفس الوقت.

دور مشرفة الحضانة نحو الطفل حديث الالتحاق بها:

١- تهيئة جو مماثل لجو البيت:

الهدف الأول فى ذلك هو أن تهيئ مشرفة الحضانة جوا يماثل بقدر المستطاع الجو الذى كان يتمتع به فى البيت: من أمن، وطمأنينة ، وعطف وتفاهم.

٢- التعرف على طبيعة كل طفل على حدة:

وذلك للتعرف على طبيعة كل طفل من حيث استعداده للاندماج مع الآخرين وما ينقص كل منهم من الحاجات النفسية التى يتمتع بها فى البيت وهو مقيم بين والديه. فهذه تستغرق وقتا طويلا، وجهدا ليس بقليل ، ودراية وقدرا من السيكولوجية لمعرفة الطفل غير يسير.

٣- اكتشاف نواحى القوة، والتأخر، والانحراف:

تستمر مشرفة الحضانة فى دراسة كل نفس على حدة من هذه النفوس الصغيرة، محاولة اكتشاف نواحى القوة والتفوق فتغذيها وترويها. أو تلمح بذور انحراف خلقى أو تأخرا اجتماعيا فتعالجها، وذلك لأنها تعلم أن جوهر رسالتها تقتضيها أن تكيف نفسها بالاشتراك مع البيئة كى تتيح لهؤلاء الصغار كل فرصة ممكنة، لاكتساب أكبر قدر من الخبرات التى تعود عليهم بالفائدة فى حياتهم فى الخارج حاليا ومستقبلا.

٤- الاتصال بأولى الأمر فى البيت:

على مشرفة الحضانة الاتصال بأولى الأمر فى البيت ليمدوها بما خفى عليها من حياة طفلهم فى البيت، وتنبههم بدورها إلى ما لمسته أثناء دراستها له بدار الحضانة.

وبهذا تيسر للطرفين أن يتفاهما، ويتعاونا على اتخاذ أنسب الأساليب التى تتفق مع طبيعة هذا الطفل، من حيث استعداده العقلى ، ونموه الجسمى ، وتكوين عادات خلقية طيبة. . . وغير ذلك.

٥- التوجيه والإرشاد للوالدين:

على مشرفة الحضانة من خلال خبرتها وثقافتها وتدريبها، يمكنها عند ملاحظتها أى تأخير أو انحراف بين الأطفال أن تقوم بتوجيه الأم إلى كيفية التعامل مع الطفل، أو تجنب استخدام ما يثير الطفل بالقسوة وسوء المعاملة التى تؤدى إلى اضطراب الطفل نفسيا حاليا ومستقبلا.

٦- تقدير الملكية الشخصية للأطفال:

وذلك بأن يكون لكل طفل بعض المخصصات ، أى الأدوات التى تخصه شخصيا، والتى يشعر بأنها له وحده دون غيره، كما تحرص مشرفة الحضانة على وضع علامة أو صورة خاصة ترمز إلى مخصصات كل طفل: كالمنشفة ، والفرشاة، والمشط، والمشجب الخاص به، الذى يعلق عليه ملابسه، وبهذا يشعر الطفل حقيقة بأنه وحده يمتلك شيئا فاحترام ملكية الغير ومخصصاته يجب أن يقوم على تقدير الملكية الشخصية، واعتزاز الفرد بما يخصه.

٧- الاهتمام بنظافة الأطفال:

وذلك لأن الصغار منهم شديدو القابلية للعدوى ، وإهمال النظافة من الأمور التى تهدد صحتهم وتعرضهم للأمراض الفتاكة.

كذلك فإن اهتمام مشرفة الحضانة وتمسكها أمام الأطفال بمستوى معين من النظافة سواء نظافتهم الشخصية، أو نظافة المكان أو اللعب أو الأدوات، كل ذلك يساعد بمرور الوقت على خلق الوعى بالنظافة وتثبيتها فى نفوسهم وسلوكهم.

٨- مساعدة الطفل على التغلب على نفوره من الأطعمة غير المألوفة:

وذلك بتعلمه كيف يقبل على كل أنواع الطعام، ولا يتقيد بمفضلات معينة فى أكله. فالطفل الذى يتعود على الإقبال على الطعام بكل أنواعه ، نجده فى حالة المرض

مثلا يقبل الدواء، ويقبل الغذاء المرضى دون كثير من الأخذ والرد. ولهذا بالطبع أهمية كبرى فى الأخذ بيده إلى الشفاء.

٩- تعليم الطفل آداب الأكل وآداب المائدة:

يتهذب سلوك الطفل الغذائى المستحب المرغوب فيه أثناء الأكل، ولذلك نجد أنه إذا قورن سلوك الطفل عند بدء التحاقه بالحضانة لأول مرة بسلوكه بعد مضى أسابيع ، نجد فروقا كبيرة ، وتحسنا سريعا.

١٠- الاهتمام باختيار الوجبات ذات القيمة الغذائية المتكاملة:

الأمر الذى يساعد على تقوية صحة الطفل، ويساعد على سلامة نموه، مع مراعاة تقديم الوجبات إلى الأطفال فى جو، وبطريقة تساعدهم على الإقبال عليها.

١١- تساعد الطفل على التخلص من صراعات هذه المرحلة:

الطفل فى مرحلة الحضانة (٣-٥سنة) حيث يعبر فترة من فترات النمو التى تتميز بظهور رغبته فى الاستقلال، وممارسة الاعتماد على نفسه ظهورا أقوى وأوسع منه فى الفترة السابقة، ورغبة فى الطفل فى الاستقلال والاعتماد على نفسه، هى التى تجعله عنيدا، صلب الإرادة، شديد القابلية للانفجارات الانفعالية يرفض بشدة أى نوع من أنواع القوة.

ومما يزيد الأمر صعوبة، تواجد الطفل مع أمه، فإذا كان رد الفعل من ناحية أمه هو مقابلته بالتوبيخ والتدمير والعقاب والعنف، اكتمل الخوف فى نفسه من أن يفقد حبها . ذلك الحب الذى يعنى بالنسبة له التقبل والأمن والاستقرار، ومن ثم يتصارع هذا الخوف من فقدان الحب الأموى مع الرغبة القوية فى التحرر منها.

وتكون النتيجة أن يعانى الطفل داخل نفسه الصراع، والقلق والشعور بالتعاسة.

أهمية دار الحضانة فى هذه الفترة الجوهرية لفطام الطفل النفسى من أمه:

ومما لاشك فيه، فى هذه الفترة الجوهرية لفطام الطفل النفسى من أمه، تبرز أهمية دار الحضانة كأكبر عون ييسر عليه اجتياز هذه الفترة الفطامية الصراعية بسلام، ففيها:

أ- ينطلق توتره، ويتلاشى .

ب- يشعر بالحرية والنشاط فى جوها الاجتماعى الملىء بالحركة.

ج- يشعر بالسعادة فى تواجده مع أقرانه تحت إشراف المتخصصات المتفرغات.

د- يبدأ فى اكتساب الاتجاه السليم نحو سلطة الكبار.

هـ- يبدأ فى السير نحو الوصول إلى التوازن المتطلب فى شخصيته من حيث جانباه التسلطى والخضوعى ، ذلك التوازن اللازم والجوهرى لسلامة صحته النفسية والعقلية.

و- يتعلم وهو مع أقرانه، وعلى مسرح الحياة فى دار الحضانة فى أن يعطى وأن يأخذ ، ويقود ويتبع، ويتسلط ويخضع.

ز- يستطيع أن يتعلم من خبراته وتجاربه، تحت إشراف المشرفة المتخصصة التى تستطيع أن تراقب نشاطه عن كثب، وتكون على استعداد لتقديم المساعدة له كلما تغلب الأمر ليفيد قدر المستطاع من حياته فى مجتمع الحضانة الطليق، ومن تعامله فى هذا المجتمع مع مجموعة من الأطفال الذين من سنه.

١٢- تساعد على تنمية روح الاستقلال عند الطفل وإشباع حاجته إلى الحرية والاستقلال:

عن طريق تجنب بقدر الإمكان أن نحد من مجهود الطفل التلقائى الذى يبذله فى الحدود المقبولة، ودون أن يضر بغيره فى سبيل إشباع رغبة من رغباته.

ومما يساعد على ذلك : أن محتويات دار الحضانة - من أثاث ، وأدوات، وأجهزة، قد روعى فيها أن تكون مناسبة للطفل، من حيث الحجم بصفة خاصة، وأن تقدم للطفل بطريقة تساعد على استعمالها استعمالا حرا، ودون أن يوجه بين الحين والحين بأن لمس هذا أو ذاك ممنوع.

أن بيئة دار الحضانة بجملتها وتفاصيلها، من حجرات ، وأثاث، وخامات ولعب، وأدوت ، وأجهزة، قد أعدت خصيصا له، وأنشئت وجهزت منذ البداية لتوافق ميول الطفل، وتتفق مع قدراته وإمكانياته. . . ولذلك يشعر الطفل أثناء ممارسة نشاطاته المختلفة ، أنه لا يحتاج إلا إلى القدر اليسير من المساعدة والإرشاد ، ويعمل كل شىء بنفسه.

إن الطفل فى دار الحضانة يشبع رغباته وميوله عن طريق ما يبذله من جهد بنفسه، وبذلك يتحقق له تنمية روح الاستقلال ، والحرية، والاعتماد على النفس والثقة بها.

١٢- تساعد على اكتساب الطفل العادات والاتجاهات الاجتماعية العامة فى تكوين شخصيته:

عن طريق مقاييس الطفل، مع أقرانه من سنه أو أكبر أو أصغر منه ينتقل بطريق طبيعى وغير مباشر ، بمساعدة مشرفة الحضانة كثيرا من أساليب السلوك الاجتماعى التى لا تتاح له فرصة نقلها من أية بيئة أخرى.

وبعد ثلاث سنين من ممارسة المواقف والعلاقات الاجتماعية مع أقرانه من أعمار مختلفة، ولكن تقارب سنه، يكون قد اكتسب بدرجة كبيرة كثيرا من العادات والاتجاهات الاجتماعية من الجوانب الأساسية فى تكوين شخصيته، والتى تعد أساسا يبنى عليه فى حياته مستقبلا.

لذلك:

يندر أن يكون الطفل الذى نُشئ فى دار الحضانة هيابا أو خجولا، ومن جهة أخرى، قلما نجده قاسيا أو عدوانيا أو غير رحيم.

الفصل السادس عشر

تعاون دار الحضانة .. والأسرة.. والصحة النفسية للطفل

على الرغم أن إحدى الدعامات الجوهرية فى تنشئة الطفل تقوم على تعاون البيت ودار الحضانة معا، وهذه الحقيقة على أهميتها لا تكاد تلقى العناية إلا من القلة القليلة. ونظرة سريعة إلى الأمـر الواقع ترينا أن كثيرا من الأمـهات والآباء يرسلون أبناءهم إلى الحضانة مـعتقدين أن واجبـهم فى التربية قد انتهى . ولم يبق عـليهم سوى أن يكفلوا الطعام، والملبس ونفـقات الدراسة لأبنائـهم دون أن يخطر ببالهم الحضـور أو الاتصال بهذه المعلمة التى عهد إليها الإشراف على تربية أبنائهم بقصد التفاهم أو التعاون.

أهمية تعاون مشرفة الحضانة مع الأسرة:

تمضى مشـرفة الحضانة فى عـملها محاولة جـهدها أن تدرس كل نفس من هذه النفوس الصـغيرة على حدة لتكتـشف نواحى القوة والتفـوق فتغذيهـا وترويها أو تلمح بذور انحراف خلقى أو تأخرا اجتماعيا فتعالجها، وذلك لأنها تعلم أن جوهر رسالتها أن تكيف نفسهـا بالاشتراك مع البيئة لكى تتـيح لهؤلاء الصغار كل فرصة ممكـنة لاكتساب أكبر قدر من الخـبرات التى تعود عليهم بالفائدة فى حياتهم خـارج الحضانة، وبعد إتمام رحلتهم.

اكتشاف ما خفى عن حياة الطفل من البيت:

ولكن عمل مشرفة الحضانة مهما تحاول يبقى ناقصا إذا لم تتح لها فرصة الاتصال بأولى الأمر فى البيت، ليمدوها بما خفى عليهـا من حياة الطفل فى البيت وتنبههم هى بدورها إلى ما لمسته أثناء دراستها له بدار الحضانة.

وبذا يتيسر للطرفين أن يتفاهمـا، ويتعاونا على اتخاذ أنسب الأساليب التى تتفق مع طبـيعـة هذا الطفل من حـيث اسـتعـداده العـقلى ونموه الجســمى وتكوين عـادات خلقية. . . وغير ذلك.

فوائد تعاون دار الحضانة والأسرة:

تعويد الطفل النظام والعادات الصالحة، والانضـباط فى حياته يتوقف على تعاون دار الحضانة والأسرة.

تبعا للتعاون المتبادل بينهما تأتى التنشئة فى دار الحضانة ثمرتها المرجوة، ومن الأهمية بمكان، ومع الأطفال فى مرحلة الحضانة بصفة خاصة.

ينبغى أن :

١- يسود الثبات فى معاملتهم.

٢- يكون هناك نظام موحد، ورأى واحد فى رسم قواعد السلوك التى يسيرون عليها أما التذبذب، وانعدام التوحيد فى الرأى فى التعامل معهم فيعد من أكبر معوقات التربية، ونمو الشخصية وتفتحها.

٣- تكوين ثبات وتوحيد فى تربية الأطفال نفسيا واجتماعيا.

مظاهر تعاون مشرفات الحضانة مع أسرة الطفل:

١- دوام العلاقة وتوثقها بينهن وبين والديه.

٢- إحاطة الأسرة علما بخطتهم فى العمل مع مجموعة الأطفال التى ينتمى إليها طفلها.

٣- إحاطة الأسرة بما رسمته لهذا الطفل من عناية فردية، حتى تستطيع الأسرة القيام بدورها فى هذه العناية. ومواصلة رعاية الطفل الذى تسير عليه مشرفة الحضانة.

٤- حرص المشرفة على دراسة تنشئة الطفل فى أسرته لتؤخذ فى الاعتبار عند وضع خطة العمل معه:

* نظام حياته الفعلى والواقعى فى بيئته.

* ما عسى أن يكون قد اكتسبه من خبرات معينة.

* ما مر به من ظروف فردية تجعله يمتاز أو يتأخر عن أقرانه مثلا : فكثير من الآباء من :

يعرف معرفة جيدة خلق طفله وشخصيته .

كما يعرف بخبرته معه، الطرق والأساليب الأكثر جدوى والأسرع أثرا فى التعامل معه.

ولذلك تستعين مشرفة الحضانة كلما أمكن بمعرفة الآباء والأمهات لأحوال أبنائهم.

٥- تساعد المشرفة بعض الأمهات اللائى يظهرن خبرة كبيرة مع الطفل من حيث التعامل معه، أو النجاح فى تهيئة الظروف المشجعة على تربيته، بالإرشاد والتوعية فى إطار الاحترام والتقدير الذى يشعر الأم بأنها كما تعلمهم الكثير عن الطفولة والأطفال، فإنها أيضا تتعلم منهم ومن خبرتهم الشىء الكثير.

٦- تنظيم اجتماعات للآباء والأمهات حيث تدور المناقشات عن تربية الأطفال بصفة عامة تفيد المجتمع، وفى بعض الأحيان تنظيم اجتماعات للأباء فى مجموعة صغيرة تبعا لمستوى أعمار أطفالهم.

٧- يدعى الآباء والأمهات لمعارض تقام بدار الحضانة ليروا:

* كيف تؤثث حجرة الطفل بالأثاث الملائم.
* كيف ينظم ركن اللعب للطفل فى المنزل.
* معرفة اللعب والكتب المناسبة له من حيث سنه وجنسه.
* معرفة المهارات التى يمكن تدريب الطفل عليها.
* معرفة أحسن الطرق لتعويده على العادات الشخصية والصحية المختلفة.
* عرض على الآباء والأمهات نماذج لملابس الأطفال المستوفية للشروط الصحية.
* وغير ذلك من الإرشادات للأهالى مما يساعدهم على رعاية أطفالهم الرعاية النفسية والصحية السليمة.

٨- تخصص دار الحضانة بعض أمسيات الأسبوع لعرض الأفلام السينمائية التربوية على الآباء والأمهات، ويشفع هذا العرض بمناقشتها والتحدث عنها.

٩- تشجيع الأمهات على الحضور فى أوقات معينة:

- لتلقى دروس فى حياكة ملابس الأطفال.
- أو فى تحضير وإعداد وجبات غذائية متكاملة للأطفال.
- أو فى كيفية اختيار القصص المناسبة لهم وإلقائها عليهم.

١٠- تقوم مشرفة الحضانة بزيارة منزل الطفل بصفة شخصية وغير رسمية وذلك لتقوية الروابط بين دار الحضانة وأسرة الطفل، حيث تتبادل الآراء مع والديه فى شئون تربيته وتكون على علم أولا بأول، بما يطرأ على أسرته من ظروف جديدة تنعكس على تربيته والتعامل معه:

* فتقدم النصيحة.

* وتعاون فى تخفيف وقع مفاجأة الظروف الجديدة.

* وترسم للأبوين خطة السير فى الأيام المقبلة.

١١- السماح للوالدين أن يزورا الدار فى أى وقت:

* ليروا أطفالهم وهم يمارسون نشاطاتهم.

* وليستأنسوا ويسترشدوا برأى المشرفة أو الطبيبة أو المديرة فيما قد يقلقهم من ناحية الطفل.

١٢- الاهتمام بإنشاء مجلس الآباء: حيث ينتخب فى اجتماع من اجتماعات الأسرة العامة. ويكون هذا المجلس حلقة اتصال بين الآباء والأمهات وهيئة دار الحضانة.

١٣- الحفلات: الشاى، وحفلات السمر أو حفلات الأعياد، وأعياد ميلاد الأطفال التى تقيمها دار الحضانة وتدعو إليها الآباء والأمهات.

أهمية مشاركة وتعاون الأسرة مع دار الحضانة فى مرحلة ما قبل المدرسة:

١- تتيح الفرصة للوالدين بكل الطرق الممكنة ليكتسبوا التبصر العميق بتربية الطفل.

٢- لكى يكونوا معها يدا واحدة فى التعامل معه، والأخذ بيده، وتعزيز نموه من جميع نواحيه.

٣- إشعار الوالدين بمسئولياتهم التربوبة، ومساعدتهم على الاضطلاع بها.

وينبغى ألا يقتصر التعاون على مجرد مقابلة الآباء والأمهات، الذين يحضرون أبناءهم إلى دار الحضانة.

بل يجب أن يشتمل على :

* المقابلات الدورية.

* الأحاديث الخاصة.

* عقد جلسات للمناقشة.

* كذلك: مشاركة الآباء والأمهات لأبنائهم فى ألوان النشاط المدرسى .

* وزيارتهم لدار الحضانة أثناء سير الدراسة.

* كذلك، زيارة المشرفات للأسرة.

الجزء الثالث

المشاكل النفسية والسلوكية للطفل

١ - العقاب.. والطفل:

صور العقاب أو التهديد به متعددة، وقد يكون الدافع له هو الحالة النفسية للأم أو الأب، أو الإرهاق، أو النزاع بينهما.

ينجح العقاب فقط فى تعديل سلوك الطفل إذا كانت العلاقة بين الطفل ووالديه مبنية على الحب والتفاهم.

ويفشل العقاب: عندما يفتقد الطفل هذا الحب، واهتمام أبويه، وعندما يكون المناخ الأسرى مشحونا بالتوتر، واللامبالاة أو يتميز بالصرامة والشدة.

لا يجب أن يهدف العقاب إلى تحقير الطفل أو إرغامة على سلوك معين من خلال التخويف والتهديد به.

يجب أن يشعر الطفل أن تعديل السلوك الخاطئ أو تجنبه يسعد الوالدين، ويوطد روابط الحب بينه وبينهم.

* العقاب والبيئة العائلية: الطفل الذى يعيش فى بيئة عائلية هانئة يحس بالاطمئنان، ولا يتضجر أو يتألم من العقاب، وينظر له كنوع من الاهتمام به وحب والديه له. ولذلك : لا يتمادى الطفل فى السلوك غير المرغوب.

* تكرار العقاب وشدته : أو عدم تناسبه مع سن الطفل: يضعف من تأثير البيئة العائلية السعيدة، ومن علاقة الحب والاهتمام التى تربط الوالدين بالطفل .

وفى هذه الحالة تصبح نتائج العقاب سلبية، ويزداد سلوك الطفل سوءا. وقد يتحول إلى مضاعفات سلوكية جانبية قد تكون أكثر ضررا من السلوك الأصلى .

* التهديد بالعقاب دون تنفيذه: ينمى فى الطفل طبيعة اللامبالاة والاقتناع بعدم جدية كل ما يهدد به الأب أو الأم . وبذلك تتكرر أخطاؤه سلوكيا دون أى اهتمام بالتهديد .

العقاب البدنى وأضراره:

* لا ينجح فى تعديل السلوك الخاطئ.

* إنما يدفعه عميقا فى باطن الطفل لكى يطفو من جديد عند غياب المصدر الذى يغذيه بالعنف والعقاب البدنى .

* إصابة الطفل بالأذى : الجسمى والنفسى الذى يظهر بصور مختلفة منها: العصبية، العناد، العدوانية، التبول اللا إرادى، الانطوائية، اللجلجة فى الكلام، الميل إلى البكاء، الخوف، الفشل الدراسى حاليا، ومستقبلا.

إذن ما هو العقاب الذى يؤدى إلى الغرض الطلوب؟

١- الإرشاد، والشرح للطفل فى حزم ما يجب فعله، وما لا يجب بطريقة تتناسب مع سنه، وفى هدءو دون توتر.

٢- إذا تكرر الخطأ ينبغى التعرف على الدوافع التى أدت إلى ذلك.

٣- النتائج الإيجابية للعقاب البدنى أقل تأثيرا من نتائج العقاب الأخرى، كالحرمان من النقود، أو مشاهدة التليفزيون ، أو بعض الامتيازات الأخرى التى يحبها الطفل ويفضلها.

٤- من الخطأ البالغ معاقبة الصغير بإرساله للفراش أو الاعتكاف فى غرفته: الأفضل أن تنقل الأم نفسها بعيدا عنه، وتجلس فى صمت وهدوء بحيث يراها طول الوقت.

وفى مثل هذه الحالات، فإن الطفل سريعا ما يعود للأم للتأكد من أنها لازالت تحبه.. وعندما يطمئن إلى ذلك، فيتجنب تكرار الخطأ الذى ارتكبه وأغضب أمه التى تحبه.

٥- يجب على الأم إبعاد الطفل عما يمكن أن يعرضه للخطأ أو الأذى وعليها ألا تغضب، بل الانتظار حتى تهدأ، ثم تشرح للطفل كيفية تجنب الطفل الخطأ الذى ارتكبه.

٦- على الأب تجنب إطالة فترة خصام الطفل كبديل للعقاب البدنى لإشعاره بفظاعة الخطأ الذى ارتكبه، بل عليه أن ينهى الموضوع ويصفى الجو بالتوجيه البناء، دون إطالة فترة النكد لوقايته من الإحساس بالذنب والاكتئاب.

٧- على الوالدين تجنب العنف، والخشونة، والألفاظ غير اللائقة: عند ارتكاب الطفل الخطأ. وذلك لتجنب إصابته بالخوف والتوتر، والعصبية، والعناد، وتعلم الألفاظ غير اللائقة، حاليا ومستقبلا الأمر الذى يعرضه للأخطاء، ولسلوك غير سوي، والإهانة من المحيطين.

٨- على الوالدين : غرس القيم الدينية فى الطفل، ومخافة الله فيما يقول أو يفعل، ويعمق فيه الإيمان بالله. الأمر الذى يجنبه سوء السلوك أو الخطأ فى الأفعال كى لا يغضب الله ، ويعمل على تقوية إيمانه بالله.

أسباب المشاكل النفسية والسلوكية للطفل:

١- تفكك الروابط الأسرية بين الوالدين والأبناء نتيجة:

- سوء الحالة الاقتصادية.
- اضطراب أحد الوالدين نفسيا أو كليهما.
- اختلاف الوالدين على طرق تربية الأبناء.

٢- القسوة، والعقاب، والعنف فى معاملة الطفل ولا سيما العقاب البدنى.

٣- يصب أحد الوالدين جام غضبه على الطفل.

٤- الطلاق، أو الانفصالات المؤقتة أو الدائمة.

٥- ازدحام المسكن وحجم الأسرة الكبيرة.

٦- التفرقة فى المعاملة بين الأبناء.

٧- تهديد الطفل فى المنزل بالذهاب إلى دار الحضانة لعقابه من المشرفة.

٨- سوء معاملة مشرفة الحضانة، والأطفال الآخرين.

٩- غياب دور الأب، وانشغال الأم بعملها، وتراخيها فى القيام بدورها، والرعاية النفسية لأبنائها.

١٠- بقاء الأبناء وحدهم تحت تأثير جهاز إعلامى خطير مثل التليفزيون يقدم أعمالا لا تخلو من سلوكيات وأخلاقيات خاطئة.

١١- تضاؤل تأثير الدين من جهة الوالدين والأبناء.

١٢- علاقة الوالدين بالأبناء يشوبها نواحى غير سليمة: إصدار الأوامر والتأنيب وعدم الاستعداد للحوار.

مظاهر الاضطرابات النفسية والسلوكية للطفل:

١- زيادة أو ضعف النشاط الحركى .

٢- الانطواء وعدم الاندماج مع الأطفال الآخرين.

٣- التبول أو التبرز اللا إرادى .

٤- العنف - العراك - العدوانية- وتكرار نوبات الغضب.

٥- صعوبات النطق.

٦- عض الأصابع وقرض الأظافر.

٧- رفض الذهاب إلى الحضانة أو المدرسة.

٨- الغيرة والخوف وضعف الثقة بالنفس.

٩- التأخر الدراسى .

١٠- الاضطرابات النفسية البدنية- المغص المستمر - الأمراض الجلدية- صعوبات النطق- التبول اللا إرادى - سقوط الشعر- فقدان الشهية - الأرق.

١١- مظاهر الاضطرابات السلوكية : الشجار، العناد، العدوانية، الكذب، السرقة، التخريب، الميل إلى إيذاء الغير.

متى يحتاج الطفل إلى الاستشارة الطبية النفسية:

إذا ظهرت الأعراض الآتية على الطفل كلها أو بعضها :

١- ظهور توتر أو خوف شديد، وعدم استرخاء الطفل.

٢- استجابات الطفل بالبكاء والصراخ نحو المضايقات.

٣- العدوانية، والعناد، والتخريب، والهروب.

٤- ظهور أفعال متكررة: كالاهتزاز إلى الأمام أو الخلف وغيرها.

٥- الانطواء، وعدم إحساسه بالسعادة، وعدم الضحك أو الابتسام.

٦- عدم الطاعة للبالغين مع رفضهم.

٧- كثرة الصراخ- فقدان الشهية - اضطراب النوم.

٨- عدم التحكم فى ضبط وظائف الإخراج (تبول لا إرادى - أو تبرز لا إرادي).

٩- صعوبات النطق، وقضم الأظافر وعض الأصابع.

١٠- التشنجات العصبية (الصرع بأنواعه المتعددة).

١١- التأخر الدراسى.

١٢- التخلف العقلى.

العلاج والوقاية من الاضطرابات النفسية والسلوكية للطفل:

١- دور الوالدين:

الوقاية خير من العلاج، والوقاية فى حالة الأمراض النفسية والسلوكية قد تكون بديلا فى كثير من الأحوال، وعامل الوقاية قد يفيد فى منع حدوث المرض وأعراضه المدمرة، ليس فقط الجيل الحالى ولكن فى الأجيال المتعاقبة.

لذلك فالوقاية هامة جدا فى مراحل العمر المختلفة؛ لذا فإنه يجب على الوالدين أن يقوما ببعض الإجراءات الوقائية لأطفالهما، ويتمثل ذلك فيما يلى:

١- توفير الصحة الجيدة للطفل، فالعقل السليم فى الجسم السليم.

٢- العلاقات الأسرية السليمة: تجنب الخلافات بين أفرادها، ودعم المحبة بينهم والمشاركة والتعاون بين أفرادها.

٣- القدوة الحسنة فى سلوك الوالدين، والمعاملة بالاحترام، وضبط النفس.

٤- تجنب القسوة فى العقاب والعنف والألفاظ غير اللائقة لتعديل السلوك.

٥- غرس القيم الدينية والروحية، البعيدة عن التزمت والتعصب.

٦- تجنب تفضيل طفل على آخر، للوقاية من الغيرة والعدوانية.

٧- تدريب الطفل على احترام القيم، والمعايير الأخلاقية.

٨- مشاركة الأب للأم فى التنشئة النفسية للأبناء. والعمل على توفير السعادة لهم والتضحية من أجلهم. مع عدم نقل هموم العمل إلى المنزل. فيتعلم الأبناء المشاركة والتعاون، والمحبة، والعلاقات الاجتماعية السوية.

٩- مساعدة الأبناء على الاختلاط تحت إشراف الوالدين.

١٠- التعرف على أعراض الاضطرابات النفسية والسلوكية والعقلية للاكتشاف المبكر. والعلاج المبكر .

٢-دور المعلم:

يعتبر المعلم قدوة لطلابه فهم يعتبرون مثلهم الأعلى فينتهجون سلوكه ويهتدون بفكره، ويسترشدون بنصحه. ومن هذا المنطلق يحمل المعلم مسئولية التأثير فى الأجيال العديدة من التلاميذ الذين يتأثرون بشخصيته.

وفيما يلى الصفات التى ينبغى أن يتحلى بها المعلم لتحقيق العلاج والوقاية من الاضطرابات النفسية والسلوكية للتلاميذ:

١- القدوة الحسنة فى الأقوال والأفعال والتصرفات.

٢- التحلى باتزان الشخصية خاليا من عوامل القلق وعدم الطمأنينة.

٣- مراعاة العلاقات الإنسانية، والغيرة على القيم الخلقية.

٤- مراعاة العدل، وتجنب التفرقة بين التلاميذ.

٥- خلق الجو الصحى الملائم فى تعامله مع التلاميذ.

٦- مؤمنا برسالته - بالتزامه بالأمانة الكاملة فى جميع المجالات.

٧- محبا للتلاميذ، ساعيا إلى الإخلاص فى التعامل معهم لفائدتهم.

٨- تجنب القسوة، والعنف، والألفاظ غير اللائقة.

٩- مداومة القراءة والتثقيف الذاتى.

١٠- التعرف على أعراض الاضطرابات النفسية والسلوكية للاكتشاف المبكر. والعلاج.

وأخيرا:

أرجو أن يكون هذا الكتاب قد حقق الغرض المطلوب: وهو توضيح دور الأسرة فى حياة الطفل فى سنواته المبكرة، وإعداده إعدادا صالحا للمراحل التالية وتنشئته تنشئة نفسية سليمة، تجعل منه فى المستقبل فردا، ومواطنا صالحا ينعم بالحياة فى المجتمع كما يستمتع بخدمته، والإسهام فى رقيه وتقدمه فتسعد به الأسرة، ويفخر به الوطن.

محتويات الكتاب

الموضوع الصفحة


دار
المصري
للطباعة
ت: ٧٢٤١٧٨٦٠ - ٠١٢٢٧٤٩٤٧٥

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / القاهرة
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ ـ ٥٩٣٨٤١١ فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧
ص.ب ٢١ توزيع الظاهر ـ القاهرة
E-mail : alsakafa-alDinaya@hotmail.com